مجلة شهرية

نور المسيح يسوع المسيح الغالب
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

عدد: 22 Issue No:
حزيران 2009 June

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

حلول الروح القدس على التلاميذ الأطهار

طريق النسّاك

محتويات العدد

2 طريق النسّاك.

3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

5 كنيسة أورشليم الأم الروحيّة لجميع الكنائس

8 لباس الروح القدّيس مكاريوس

9 تفسير القدّاس الإلهي

11 طرق الصيد

12 إمبراطوريّة روما الجديدة

13 الأخوة النيام في الكنيسة

14 أنا هو الراعي ...

18 ألوهيّة الروح القدس

20 ألسنة من نار

21 العهد القديم في الكتاب ...

22 قيود وأغلال

23 للأولاد الأذكياء فقط

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

إعداد وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

الحرب الصامتة غير المنظورة

والآن إذ نحن نعرف أين تدور المعركة التي قد بدأناها توًا، وإذ نحن نعرف ما هو هدفنا وأين يوجد، فإننا نفهم أيضًا لماذا ينبغي أن تدعى حربنا، "بالحرب غير المنظورة".

إنها حرب تدور كلها داخل القلب، وفي صمت، وفي العمق داخل نفوسنا. وهذا هو أمر آخر بالغ الخطورة يؤكد عليه الآباء القديسون كثيرًا: "احفظ شفتيك مغلقة تمامًا على سرّك"! فإن فتح أحدٌ باب حمام البخار فإنّ الحرارة تتسرب، ويفقد العلاج فائدته.

لذلك لا تقل لأحد شيئًا عن هدفك الجديد الذي عزمت عليه في نفسك. لا تقل شيئًا عن الحياة الجديدة التي بدأتها أو عن الخبرة التي تجتازها، والاختبارات التي تتوقع أن تحصل عليها. فكل هذا إنما هو أمر بين اللّه وبينك شخصيًا، وبينكما أنتما الاثنين فقط.

والاستثناء الوحيد لهذا يمكن أن يكون أب اعترافك. هذا الصمت ضرورة لأن كل ثرثرة عن اهتمامات الإنسان الخاصة إنما يغذى الانشغال بالذات والثقة بالذات. وهذه يجب خنقها قبل كل شيء!

فعن طريق الصمت تنمو ثقتنا في ذلك الذي يرى ما في الخفاء، وبواسطة الصمت يتحدث الإنسان مع ذلك الذي يسمع بدون كلمات.

وهذا هو مسعاك: "أن تأتي إليه، وفيه تضع كل ثقتك: وهكذا تكون معلقًا في الأبدية، وفي البداية لا توجد كلمات".

وبعد ذلك فإنك سوف تعتبر كل شيء يحدث لك، كبيرًا كان أم صغيرًا إنما هو مرسل لك من اللّه لمساندتك في حربك، فهو وحده يعرف ما هو ضروري لك وما هو احتياجك في اللحظة الراهنة: محنة أم رخاء، تجارب وسقوط، فليس هناك شيء يحدث صدفة أو يحدث بطريقة لا تمكنك أن تتعلم منه، فينبغي أن تفهم هذا جيدًا في الحال لأنك بهذا تنمو ثقتك في الرب الذي اخترت أن تتبعه.

وهناك أمر آخر يعلمنا إياه القديسون ونحن في الطريق وهو: ينبغي أن ترى نفسك كأنك طفل وهو يبدأ تعلم نطق الحروف الأولى، ويتدرب على خطوات المشي الأولى. وكل حكمة عالمية، وكل المهارات التي ربما تكون قد اكتسبها هي بلا قيمة تمامًا في الحرب التي أمامك. ومثلها في عدم القيمة أيضًا مركزك الاجتماعي وممتلكاتك. فالأملاك التي لا تُستخدم في خدمة الرب هي عبء، والمعرفة التي لا تشغل القلب هي معرفة عقيمة وبالتالي ضارة، لأنها متصلفة، هذه المعرفة تسمى معرفة عارية لأنها بلا دفء ولا تنشئ أي محبة. لذلك ينبغي عليك أن تتخلى عن كل معرفتك وتصير جاهلاً لكي تكون حكيمًا، ينبغي أن تصير فقيرًا مُعدمًا لكي تصبح غنيًا، وتصير ضعيفًا إن أردت أن تكون قويًا.

الكلمة الترحيبيّة لصاحب الغبطة

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

بمناسبة زيارة قداسة البابا بندكتوس بابا روما ٢/٥ ش، ١٥/٥/٢٠٠٩ غ

قداسة البابا بندكتوس السادس عشر.

المسيح قام!

نوجّه لكم تحيّاتنا الحارّة بإسم ربّنا وإلهنا القائم من بين الأموات في هذه المدينة المقدّسة التي شهدت آلامه، وموته، وقيامته ونستقبلكم اليوم في زيارتكم البابويّة الأولى في الأراضي المقدّسة. نذكر جيّداً زيارة سلفكم المحبوب قداسة البابا بولس الثاني في سنة **ال ٢٠٠٠** والتأثير العميق والإيجابي لزيارته على المصالحةوالسلام في المنطقة.

غبطة بطريرك
المدينة المقدسة اورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

كلّ الذين يأتون إلى الأراضي المقدّسة، من عُظماء وأشخاص بسطاء - **يأتون كحجّاج**. في اللغة اللاتينيّة كلمة حاج هي ***Pelegrinus*** ومعناها الشخص الذي يأتي من بلد آخر، أي المُسافر، ومنذ الأيّام الأولى لحياة الكنيسة بعد **قسطنطين الكبير**، يسافر المؤمنون لزيارة المزارات والأماكن المقدّسة سواء هنا في هذه الأرض المقدّسة أو في أوروبا.

وفي اللغة اليونانيّة كلمة حاج هي ***Proskynitis*** . وفي هذه الكلمة نحنُ نلمس المعنى الحقيقي لها "**وهو الشخص الذي يتعبّد**" وهو هدف رحلة كلّ حاج يقومُ بزيارة المزارات والأماكن المقدّسة من أجل التعبّد والصلاة.

قداستكم، لقد جئتم أنتم أيضاً مثل الملايين من الحجّاج الذين أتوا عبر العقود إلى هذه الأرض المقدّسة مُجسّدين مفهومَ كلمة حاج. لقد قطعتم مسافة كبيرة من أجل التعبّد والصلاة فيها. نأمل أن تكون زيارتكم هذه مثالاً لكل الذين يتوقون ويتمنّون زيارة هذه الأماكن **حيثُ تجسّد تاريخها المقدّس** ، واستطاع الإنسان أن يعيش كلمة الربّ عبر الأنبياء وفي شخص ربنا وإلهنا يسوع المسيح.

إنّ مدينة **أورشليم هي الأمّ الروحيّة لكل الكنائس**. وهنا في هذه المدينة، في يوم العنصرة، أُسّست الكنيسة الأولى ومن ذلك اليوم وعبر ٢٠٠٠ سنة كنيسة أورشليم، هذه الكنيسة كانت شاهدة على حياة ، وموت ، وقيامة ربّنا ومخلصنا سوع المسيح.

ونحنُ الذين نسعى دائماً من أجل أن نكون مُخلصين لمهمة هذه المدينة، مدينة أورشليم ، كَأُم روحيّة لجميع الكنائس، نسعى دائماً من أجل المحافظة على مشاركتنا وعلاقاتنا المسكونيّة المتبادلة، ونُصلّي يوميّاً من أجل وحدة الجميع. إن الرحلة المسكونيّة هي رحلة علاج من ذكريات الماضي، وفي نفس الوقت رحلة شفاء عبر حياة إيمان وشهادة مشتركة للحاضر والمستقبل. نطلب من اللّه أن يمنّ علينا بالبركة والقوّة من أجل تخطّي الصعوبات التي نعيشها نتيجة إنقساماتنا؛ واتخاذ القرار وعمل كل ما يلزم من أجل التغلّب على كلّ ما يؤدّي إليه هذا الإنقسام.

نحنُ نستمر في شهادتنا من خلال محافظتنا على هذه الأماكن المقدّسة التي هي عزيزة ومقدّسة لدى اليهود ، والمسيحيون، والإسلام. أمّا بالنسبة للطائفة المسيحيّة في منطقتنا، وبالأخص في الأراضي المقدّسة، هذه الأراضي التي كانت ولا تزال الرباط بين الكنيسة وهذه الأرض.

إنّ الرسالة اللاهوتيّة لهؤلاء الذين ائتمنوا من قبَل اللّه على هذه الأراضي المقدّسة، هي ضمان حريّة الدخولَ إليها حتى تستطيع قوّة هذا التاريخ المقدّس من تحويل حياة المؤمنين إلى اكتشاف إنسانيتنا المشتركة ورسالتنا، مثلما قال بولس الرسول: «أن يُصالح به الكلّ لنفسه» (كولوسي ١: ٢٠).

إنّ روح القيامة تذكّرنا بنصرة المحبّة على الكراهيّة، والحياة على الموت ، والعدل على الظلم، والسلام على الصراع، والنور على الظلام. إنّ الكنيسة تستمر في شهادتها على هذه المحبّة والكلمة المتجسّدة، والذي أمرنا بها بأن ليسَ فقط أن نحب قريبنا كنفسنا، بل عدوّنا الذي يكرهنا.

نحنُ نؤمن بأنّ التعايش السلميّ بين اليهود، والمسيحيّون والإسلام، في هذه الأرض المقدّسة مهمٌ جداً وأساس للإستقرار في المنطقة. لقد عشنا معاً هنا لأجيال طويلة. وهكذا يجب أن يستمر في المستقبل. نحنُ هنا من أجل الشعب المسيحيّ في هذه الأرض المقدسة. أعدادنا تقل يوماً بعد يوم

مقارنة مع بقيّة السكّان. ونحنُ ملتزمون بتحسين وتوفير فُرَص العمل والتعليم، ولضمان حياة أسريّة لتمكّن كل شخص يعتبر هذه الأرض المقدّسة بيته، بالعيش الكريم.

مدينة القدس هي مدينة فريدة. يشكّل فيها كل من اليهود والمسيحيّون والإسلام مثال للوحدة والتنوّع من خلال إختلاف الأديان والحضارات والثقافات في الحياة اليوميّة، والمقدرة على مواجهة تحدّيات العالم المختلفة.

مهمتنا هي تعميق واستمرار الإحترام المتبادل، والمصالحة والسلام الدائم في الأرض المقدّسة. جميع المسيحيين من مختلف الطوائف مدعوون لتوحيد قواهم والإنضمام إلى هذه المهمة العظيمة. لنجعل حياتنا معاً مثالاً للكلام الوارد في المزمور ﴿٨٤ (٨٥) :١٠﴾ «الرحمة والحقّ إلتقيا. البرّ والسلام تلاثما».

نحنُ جميعاً مدعوون إلى هذه المهمة العظيمة من خلال حوار ديناميكي ـ حوار بين الكنائس ، وحوار بين المسيحيين والمؤمنين بعقيدتنا.

دعونا أن لا ننسى أبداً إنّ وحدة الإيمان التي نحنُ المسيحيين مدعوون لها ، لا تعني نهايتها ولكن هي الوسيلة التي نشهد بواسطتها على وحدة الإنسانيّة.

قداستكم، نحنُ نعلم أنّكم أتيتم إلى الأراضي المقدّسة كحاج، ولكن الشعب هنا يستقبلونكم كرسول للسلام والمصالحة. وفي نفس الوقت **بطريركيّة الروم الأرثوذكس** تستقبلكم بكلمات من صلاة القدّيس يوحنا الذهبي الفم يحثّنا في كل قدّاس إلهيّ بقوله: "لنحبّ بعضنا بعضاً حتى نعترف بإتفاقٍ مقرّين، بآب وابن والروح القدس ثالوث متساوٍ في الجوهر وغير منفصل".

قداسة البابا، بالنيابة عن كل ممثلي الكنائس والطوائف المجتمعين هنا اليوم ، نشكركم على زيارتكم.

المسيح قام ! حقّاً قام

ليبارك اللّه حجيجكم إلى الأراضي المقدسة.

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كنيسة أورشليم، الأم الروحيّة لجميع الكنائس

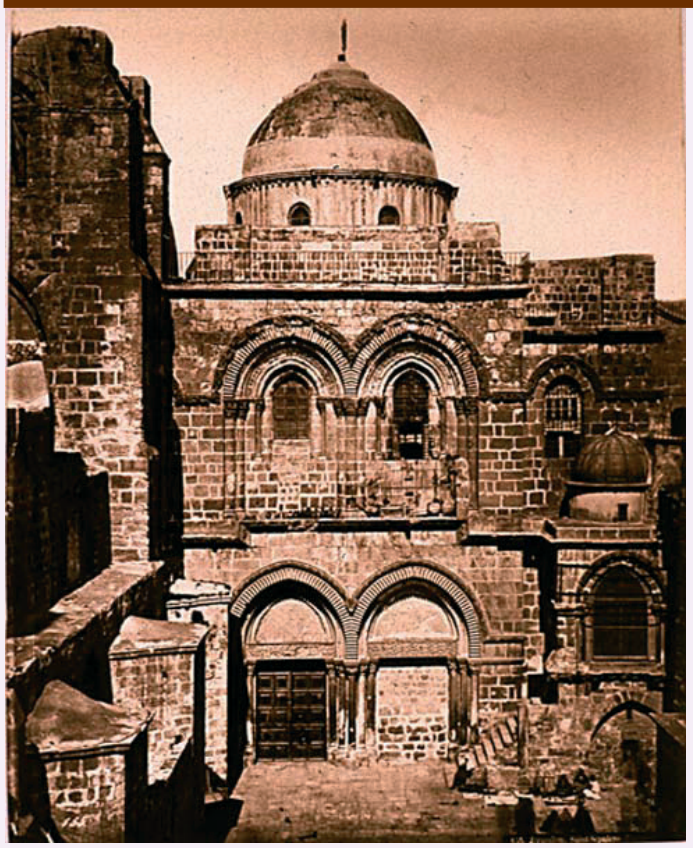

بدأ المخلص نفسه تنظيم كنيسته، فَوَجّه دعوات شخصيّة إلى الاثني عشر، إلى اندراوس ويوحنا اولاً، ثم إلى سمعان أخي اندراوس الذي دعاه منذ اللحظة الأولى سمعان بطرس إي **الصخر**؛ بدلاً من سمعان ابن يونا اي **ابن الوناء والضعف** ثم وجد فيليبوس ووجد هذا نثنائيل وهلم جرا. وقدسهم بحق اللّه وقدس المؤمنين به عن كلامهم ليكونوا واحداً. وأعطاهم الذي أعطاه اللّه له ونفخ فيهم وقال خذوا الروح القدس من غفرتم خطاياهم تغفر لهم ومن أمسكتم خطاياهم تمسك لهم (يوحنا ١٧ و ٢٠).

وساوى السيّد بينهم ولم يسلّط أحداً على غيره. فإنه لما دنت منه أم ابني زبدي مع ابنيها ساجدة وسألت أن يجلس ابناءها احدهما عن يمينه والآخر عن يساره غضب العشرة الآخرون (متى ٢٠) فدعاهم يسوع وقال لهم: "قد علمتم أنّ أراخنة الأمم يسودونهم وعظماءهم يتسلطون عليهم. وأما أنتم فلا يكن فيكم هكذا. ولكن من أراد أن يكون فيكم كبيراً فليكن لكم عبداً".

ولم **يميّز** الرب بطرس. ولم **يوجّه** إليه دعوة مختلفة. ويتذرع من يقول بتمييز بطرس بكلام بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥:٥): "قد سلمت اليكم ما تسلمت انا نفسي أنّ المسيح قد مات من أجل خطايانا وأنه قبر وأنه قام في اليوم الثالث وأنه تراءى لكيفما ثم للاثني عشر ثم لأكثر من خمس مئة أخ معًا ثم تراءى ليعقوب ثم لجميع الرسل". ويتذرع هؤلاء أيضاً بما جاءَ في انجيل لوقا (٢٤:٣٤) من أن الأحد عشر والمجتمعين معهم قالوا: "لقد نهض الرب حقًا وظهر لسمعان". يتذرع هؤلاء بتقديم ذكر سمعان على ذكر غيره فيرون في هذا التقديم تمييزاً ودعوة خصوصيًا للتبشير.

ونحن نقول أنّ في هذا خروجاً على أبسط قواعد التفسير. فالإنجيل بالإنجيل أولاً والرسائل بالرسائل أولاً والإنجيل والرسائل بالإنجيل والرسائل أولاً. فما **أُجْمِلَ** في مكان فقد يفسر في موضع آخر. وما اختصر في مكان فقد يبسّط في وضع آخر. ولا يجوز افتراض التناقض في كلام السيّد. فإذا قلنا بتمييز بطرس على أساس ما جاءَ في لوقا وعلى أساس قول بولس كما ورد أعلاه فماذا نقول في تقديم ذكر التلاميذ على ذكر بطرس في انجيل مرقس (١٦:٧): "فاذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس" وليس في توجيه السؤال ثلاثة إلى سمعان وحده (يوحنا ٢١:١٥–١٨): "يا سمعان ابن يونا أتحبني؟" تمييزاً له بل قد يكون هذا الكلام عتاباً بالإنكار وتشجيعاً وتثبيتاً لتلميذ عُرفَ بالاندفاع الشديد وبالتراجع السريع أيضاً. **وامبروسيوس** و**اوَغوسطينوس** وغيرهما من الآباء الأولين ربطوا تثليث السؤال بتثليث الإنكار!

Bernard, J., Commentary of the Gospel according to Saint John, (1928) , 690.

ولم يبنِ السيّد كنيسته على بطرس (متى ١٦)، وانما بناها على صخرة الإيمان على قول بطرس: "أنتَ المسيح ابن اللّه الحي". فليس في أدب القرنين الأول والثاني ما ينمّ عن اهتمام الآباء بهذه الآية **اهتمام رومة** لها في ما بعد. وأقدم الإشارات الواضحة إلى هذه الآية ما جاءَ في الفصل المئة من **ذيالوغوس يوستينوس مع تريفون** في حوالي السنة ١٣٣. وهنالك إشارة أخرى في رسائل **اقليمس** المنتحلة. ويرى **العلامة ماسو** اشارتين في رسائل **اغناطيوس المتوشح باللّه** وفي مزامير سليمان وتسابيحه التي تعزى إلى برديصان. *Massaux, E., Influence de l'Euangile de Saint Mathieu sur la Lit. Chrt auant Saint Irenee, (1950)* وهو قول ضعيف. وليس في هذه الإشارات كلها ما يربط تفكير الآباء الأولين بنظم الكنيسة أو مقر السلطة العليا فيها *Cullmann, O., Saint Pierre, 144*. ويعالج اوريجانس هذه الآية فيفرق بين ظاهر النص وباطنه فيرى النص في ظاهره موجهًا إلى بطرس وفي حقيقته إلى أي شخص تشابه حالته حالة بطرس *Orige'ne, Ad Mat., 16:18*. وتَدَخَّل ترتليانوس (+٢٢٠) **في النزاع بين أسقفي رومة كليستوس وايبوليتوس** فرفض أن يكون الربط والحل الواردان في متى (١٦:١٩) منوطين بالأساقفة المتأخرين سواء أكانوا من أساقفة رومة أو سائر الأساقفة *Tertullianus, De Pudicitia, XXI.* ولم يشاطر كبريانوس (+٢٥٨) ترتليانوس رأيه في مسألة الحل والربط. ولكنه لم يرَ في الآية موضوع هذا البحث مبرراً لادعاء اسقف رومة بالتقدم على سواه. فجميع الأساقفة في نظره خلفاء بطرس **ما وجّه** إلى بطرس **وجّه إليهم جميعًا**. والسيّد اذ قال لبطرس أنت صخر أمر بوحدة الكنيسة وعدم تجزئتها *De Cath. Ecc. Unit., IV, V.* وشارك فرميليانوس أسقف قيصرية كبذوكية كبريانوس رأيه في **عدم تقدم أسقف رومة** وعدم تفوقه استناداً للآية موضوع البحث *Cyprianus, Let., 75, 17.* ولم يرَ **الذهبي الفم** (+٤٠٧) في الصخرة سوى صخرة الإيمان *Chapman, J., Early Papasy, 72*. ورأى

أوغسطينوس (+ ٤٣٠) أنّ الصخرة التي سَتُبنى عليها الكنيسة هي المسيح المخلّص نفسه. وَقُل الأمر نفسه عن **كيرلّس الإسكندري** (+ ٤٤٤).

وموقف الكنيسة الأرثوذكسيّة الجامعة هو موقف هؤلاء الآباء القدّيسين الأوّلين. فقول السيّد: «وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي» يعني على الإعتراف مع بطرس وسائر الرُسل أنّ المسيح هو ابن اللّه الحيّ. فكل من أراد أن يصير مسيحيّاً يجب أن يشهد قبل كلّ شيء وأن يبني إيمانه على الصخرة التي هي: « اؤمن أنّ يسوع المسيح هو ابن اللّه الحيّ». ولذلك طلبَ المسيح نفسه إلى الأعمى الإيمان ببنوّته الطبيعيّة للّه ولم يفتكر برئاسة بطرس بل قال: أنّ الذي لا يؤمن قد دين لأنّه لم يؤمن باسم ابن اللّه الوحيد. وهكذا أقرّ بولس في المجامع في دمشق بعد دخوله في النصرانيّة. والخصيّ الحبشيّ قال لفيلبّوس قبل اعتماده: « اؤمن أن يسوع المسيح ابن اللّه »، فعمّده فيلبّوس فَخَلُص دون أن يبني على بطرس. ومثله كلّ من آمن بالإجمال. وهكذا تفعل كنيستنا الجامعة المقدّسة فلا تضع أساساً آخر «غير الموضوع الذي هو يسوع المسيح» (كو ١ ٣:١١). وكنيسة الغرب نفسها لم تلجأ إلى هذه الآية لتدعيم رأيها في سلطة أسقف رومة قبل العصور الوسطى أي قبل النزاع بين رومة القديمة ورومة الجديدة.

ثم ارتفع السيّد الى السماء فعاد الرسل الى العليّة فاقترح أحدهم سمعان بطرس، وكان شديد الغيرة كثير الاندفاع، أن يُعيّن واحد محلّ الاسخريوطي. فقدّم المجتمعون اثنين وصلوا وألقوا القرعة بينهما فوقعت على **متيا** فأحصي مع الرسل الأحد عشر. فكان عملهم أول عمل تنظيمي كنائسي قاموا به بعد الصعود. ودلّوا بالطريقة التي اتبعوها في انتقاء متيا على أنه لم يكن بينهم **سيّد يُعيّن تعيينًا أو عظيم يتسلّط**.

وحلّ يوم الخمسين وظهرت الألسنة واستقرت على كل واحد منهم فامتلأوا كلهم من الروح القدس وطفقوا يتكلمون بلغات أخرى كما آتاهم الروح ان ينطقوا فدُهش الجمهور فاندفع بطرس وخطب خطبته الشهيرة فانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس. وكانوا معًا وكان كل شيء مشتركًا بينهم وواظبوا على
تعليم الرسل وعلى الشركة في كسر الخبز وعلى الصلوات.

وتكاثر التلاميذ فحدث تذمر فَجُوبهَ الرسل بعمل تنظيميٍّ ثان. فدعوا جمهور التلاميذ وقالوا اختاروا أَيها الأخوة سبعًة منكم يشهدً لهم بالفضل فنقيمهم على الخدمة اليومية وننصرف نحن لكلمة اللّه. فاختار جمهور المؤمنين سبعة من أهل الفضل والتقوى وقدموهم للرسل. فصلّى هؤلاء ووضعوا عليهم الأيدي وجعلوا منهم أول الشمامسة. وقضى تكاثر المؤمنين أيضًا إلى انتقاء شيوخ كهنة يعاونون الرسل في خدمة كلمة اللّه وفي الإدارة أيضًا. فلم يعين بطرس أحدًا منهم تعيينًا وحدث اضطهاد على الكنيسة في اورشليم. وكان ما كان من أمر اسطفانوس الشهيد فتبدد المؤمنون في اليهودية والسامرة وانطاكية وقبرص وغيرها وحملوا الرسالة الى حيثما حلوا، فأرسل "**الرسل**" بطرس إلى السامرة. ثم انطلق الرسل للكرز والتبشير فأقاموا أخا الرب يعقوب اسقفًا على "**الكنيسة**" في اورشليم وخصوا المدن ولا سيما عواصم الولايات بعنايتهم فأنشأوا فيها الكنائس الأولى. ويلاحظ هنا أن كنائس أفسس وكورنثوس وتسالونيكية التي وجّه اليها بولس رسائله كانت كنائس عواصم الولايات وان رسالة بطرس الأولى موجهة إلى كنائس غلاطية والبونط وكبذوكية وآسية وبيثينية وان بولس يستهل رسالته الثانية الى أهل كورنثوس بالعبارة: الى كنيسة اللّه التي في كورنثوس "مع جميع القديسين في أكائية كلها". وهكذا فإنه يجوز القول ان الرسل، أو هامتي الرسل، جعلوا منذ البدء توزيع الكنائس يتفق وتقسيمات الولايات الرومانية المدنية وانهم ربطوا المؤمنين في كل ولاية بأسقف عاصمة الولاية التي انتموا اليها. ويجوز القول أيضًا ان الرسل ظلوا على صلة مباشرة بالكنائس التي أسسوها إمّا بزياراتهم الشخصية أو بإيفاد رسل من قبَلهم إليها وتوجيه الرسائل بواسطة هؤلاء. ويستدل من أخبار القَرن الثاني أن أساقفة الكنائس في كل ولاية من ولايات الدولة بدأوا يجتمعون للتداول والتشاور في الأمور الملحة في عاصمة الولاية وانهم في القرن الثالث لمسوا الفائدة من هذه الاجتماعات فجعلوها قاعدة يتمشون بموجبها فيجتمعون مرة في السنة على أقل تقدير. وأدى هذا كله إلى ازدياد في نفوذ أساقفة العواصم وأمست موافقتهم ضرورية في سيامة أساقفة الولاية. ومن هنا قول الآباء في المجمع المسكوني الأول في نيقية في السنة **٣٢٥** في القانون الرابع أنّ الأسقف يجب أن يُقام من قبَل جميع الذين في الأبرشية وأنه اذا تعذّر ذلك يجتمع ثلاثة معًا ويشترك الغائبون كتابة وأن المصادقة على ما يجري تُعطى في كل ولاية لأسقف العاصمة فيها. ومن هنا القول ايضًا في القانون الخامس انه يُستحسن أن يُعقد مجامع في كل ولاية مرتين في السنة لفحص المسائل الطارئة بحضور جميع الأساقفة. وهذا الربط بين حدود الولاية المدنية وحدود السلطة الروحية ظاهر في الإجراءات التي اتخذها **الامبراطور ولنس** للحَدّ من نفوذ **باسيليوس الكبير القديس الشهير**. فالامبراطور أمر بجعل ولاية كبدوكية ولايتين لإفساح المجال لأسقف آخر يشاطر الأسقف القديس السلطة الروحية في الولاية.

ولكن تقسيم الكنائس بموجب تقسيم الولايات لم يؤثر في شعور الرعاة والرعايا بوحدة "**الكنيسة**". فالمؤمنون ما فتئوا منذ اللحظة الأولى يعيشون ليسوع ويموتون له (رومية ٨:١٤)، وينتظمون كنيسة واحدة هي جسده وهو رأسها (كولوسي ١٨:١) ويترنمون مع بولس أينما كانوا وحيثما حلوا (كورنثوس أولى ١٢:١٢-١٤) قائلين: "لأنه كما ان الجسد واحد وله أعضاء كثيرة وجميع أعضاء الجسد مع كونها كثيرة انما هي جسد واحد كذلك المسيح أيضًا. فإنّا جميعًا اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد يهودًا كنا
أم يونانيين عبيدًا أم أحرارًا وجميعنا سقينا روحًا واحدًا".

وتميزت بعض كنائس الكنيسة في هذا الدور الأول على سواها بميزات معينة فأفضت عليها شيئًا من النفوذ لم يكن لغيرها. **فالسيّد نفسه أسس كنيسة أورشليم** وجميع الرسل عملوا فيها ويعقوب اخو الرب تولى امورها في عهد الرسل وفيها عقد أول المجامع. **ولا تزال هي وحدها قبلة أنظار المؤمنين في جميع أقطار العالم**. ومما تجدر الإشارة اليه أن افسابيوس المؤرخ اسقف قيصرية فلسطين (+٣٤٠) ظل يعتبرها "**الكنيسة**" منذ ظهورها حتى أيامه. فأسقفها في نظره كان اسقف "**الكنيسة**". أما أساقفة انطاكية والاسكندرية ورومة فإنهم كانوا أساقفة "كنيسة الأنطاكيين" أو "كنيسة الاسكندريين" أو "كنيسة الرومانيين". ويلاحظ هنا أن **الأب غوستاف باردي** أساءَ الترجمة فجعل

افسابيوس يقول إنّ فلانًا أصبح أسقف كنيسة أورشليم بدلاً من القول مع افسابيوس ان فلانًا كان اسقفًا "**على الكنيسة في اورشليم**".

وكنيسة انطاكية كانت كنيسة عاصمة ولاية الشرق وأكبر مدنه وأهمها. فكان من الطبيعي جدًا أن يتولى الأسقفية فيها كبار الرجال وأن يستعين غيرهم من أساقفة الولاية بهم في حل مشاكلهم ومشاكل المؤمنين مع الحكومة والحكام. وكان من الطبيعي أيضًا أن تزداد أهمية هذه الكنيسة بعد خراب اورشليم وتشتت ابنائها في السنة ٧٠ وأن تصبح مركزًا رئيسيًا لحركة التبشير ونقطة انطلاقها. وكانت انطاكية ايضًا مركزًا ثقافيًا هامًا فاتجهت انظار المؤمنين في ولاية الشرق الى رعاة انطاكية ومن شدّ أزرهم للدفاع عن الدين القويم. وهل ننسى أن بطرس وبولس وبرنابا اشتركوا في تأسيس كنيستها وان الأخوة فيها ساهموا مساهمة فعالة في الانفاق من أموالهم لأجل يسوع ومن أحب ،وأن المسيحيين دعوا مسيحيين اولاً في انطاكية.

مباركٌ أنتَ أيّها المسيح الهنا يا من أظهرتَ الصيّادين غيريّ الحكمة. إذ سكبتَ عليهم الروح القدس وبهم اصطدتَ المسكونة. فيا محبّ البشر المجد لك

ومثل هذا يصح إلى حدّ بعيد عن كنيسة الاسكندرية. فالاسكندرية كانت لا تزال أكبر مدن الشرق كله وأوسعها متجرًا وأسبقها علمًا وثقافة. وكانت جاليتها اليهودية أهم جاليات اليهود خارج فلسطين ولها كلمتها بينهم. فسبقت كنيسة الاسكندرية سائر كنائس الكنيسة الى التذرع بالعلم والفلسفة والعكف على الأسفار المقدسة والدفاع عن العقيدة فأصبحت هي المعلمة الأولى.

واذا كانت انطاكية عاصمة ولاية الشرق وافسس عاصمة آسية الساحلية، والاسكندرية عاصمة مصر والقيروان؛ فإنّ رومة كانت في هذه القرون الأولى عاصمة الامبراطورية بأسرها واليها تشدّ الرحال وفيها تفصل المشاكل وعنها تصدر الأحكام. وأمسى أسقفها، والحالة هذه، ممثل الكنيسة الجامعة أمام السلطات المدنية العليا يدافع عن حقوق الكنيسة جمعاء ويتحمل مسؤولية أقوال المسيحيين وأفعالهم في جميع ارجاء الامبراطورية. وجذبت عاصمة الدولة كبار المفكرين المسيحيين كما جذبت بطرس وبولس وعلموا فيها فجعلوا منها مركزًا عقائديًا يشابه مركز الاسكندرية. واشتهر المؤمنون فيها بغيرتهم وعطائهم فشملوا كثيرين بعطفهم ومحبتهم الحقيقية في أقصى ولايات الدولة كما يشهد بذلك افسابيوس المؤرخ وغيره.

ولكن ليس في المراجع الأوليّة ما يثبت قول **علماء الكثلكة** بسلطة خصوصية تمتع بها اساقفة رومة وفرضوها على سائر الأساقفة. فلو عدنا معهم إلى النصوص التي **يتذرعون بها لتدعيم رأيهم**، الى رسائل أغناطيوس المتوشح باللّه ومصنف ايريناوس ونصب ابركيوس، لوجدناها غامضة لا تلزمنا بأي استنتاج منطقي يعطي رومة **حق السلطة** على جميع كنائس الكنيسة.

وجل ما يجوز قوله هو ان بعض أساقفة رومة في هذه القرون الأولى أحسوا بواجب رعائي تجاه الكنيسة الجامعة. فحاول أحدهم فيكتوريوس (١٨٩–١٩٩) ان يفرض رأي رومة في كيفية ممارسة عيد الفصح على أساقفة آسية الصغرى وغيرهم من أساقفة الشرق. فاحتج بوليكراتس أسقف ازمير على تدخل فيكتوريوس واستند في احتجاجه الى العرف الرسولي في آسية وأيده في احتجاجه مجمع محلي ضمّ خمسين اسقفًا. وَهَبَّ اسطفانوس (٢٥٤–٢٥٧) بعد فيكتوريوس يوجب على أساقفة افريقية وآسية والشرق الاعتراف بمعمودية التائبين ويهدد بالقطع. فاحتج كبريانوس اسقف قرطاجة وفرميليانوس اسقف قيصرية آسية على تدخل اسطفانوس وقالا بتساوي الرسل وتساوي الاساقفة.

ولا بدّ من الإشارة هنا الى انه العبارة "الأوليّة تعطى لبطرس" والعبارة "الذي يهجر كرسي بطرس الذي عليه أسست الكنيسة" الواردتين في رسالة كبريانوس عن وحدة الكنيسة ساقطتان من بعض النسخ القديمة وأن العلماء الباحثين، وبينهم **الكاثوليكي** وغيره، يعتبرون العبارتين **مدسوستين دسًا** في عهد متأخر.

وظلّت الكنائس كنيسة واحدة على الرغم من هذا الاختلاف في الرأي لأنّ محبة المسيح شملتها ونار الاضطهاد صهرتها فخرجت نقية طاهرة ووقفت جميعها وقفات ثابتة في الدفاع عن استقامة الرأي والرد على الهراطقة والمبتدعين. وكان أعظم هؤلاء وأشدهم خطرًا المتهودون والمشبهون والآريوسيون.

ولبّت جميع هذه الكنائس دعوة قسطنطين الامبراطور فاجتمعت في السنة ٣٢٥ في نيقية برعايته واجمعت على دستور ايمان واحد لا نزال جميعنا نقول به حتى ساعتنا هذه. ونظر الاساقفة المجتمعون في مسائل أخرى كان بينها أمر سلطة الأساقفة واتساع رقعتها فجاء القانون السادس هكذا: "فلتحفظ العادات القديمة التي في مصر وليبية وخمس المدن بأن تكون سلطة أسقف الاسكندرية على هذه جميعها كما أن أسقف رومة له هذه العادة ايضًا. وكذلك فليحفظ التقدم للكنائس في أنطاكية وفي سائر الأبرشيات. وبالإجمال انه لأمر واضح أن من يصير أسقفًا بدون رأي المتروبوليت فقد حدّد المجمع العظيم أنه لا ينبغي أن يصير أسقفًا. "وأما اذا خالف إثنان او ثلاثة لخصام شخصي رأي الجميع العام المطابق والمناسب للقانون الكنائسي فليعمل بأكثرية الآراء". وكان السبب في هذا ان بطرس الإسكندري كان قد قطع ملاتيوس المبتدع اسقف ليكوبوليس الذي حاول أن يغتصب العادة القديمة التي جعلت السلطة والتقدم في مصر وليبية لاسقف الاسكندرية فتجاسر ان يسيم آخرين في دائرة الإسكندرية. فجاءَ هذا القانون يوجب ابقاء القديم على قدمه في مصر لاسقف الاسكندرية وفي ايطاليا وتوابعها لأسقف روما وفي سورية وملحقاتها من ولاية الشرق لأسقف انطاكية وفي سائر الأبرشيات أي الولايات لأسقف العاصمة في كل منها وحفظ الآباء بالقانون السابع "**الكرامة لأسقف اورشليم (ايلياء) كما جرت العادة**"؛ ويلاحظ هنا أنه على الرغم من موقف فيكتوريوس بابا رومة وموقف خلفه اسطفانوس المشار اليهما أعلاه لم يتخذ الآباء أي قرار في قضية السلطة التي اثارها وان رومة نفسها لم تثرها هذه المرة.

من كتاب
نحن وروما والفاتيكان ص ١-١٣

تعاليم آبائية

لباس الروح . للقديس مكاريوس الكبير

"المسيح، الطبيب الحقيقي للإنسان الداخلي، وهو يستطيع وحده أن يخلص النفس، ويزينها بثوب النعمة"..

١) إن كان أحد عريانًا لقلة الملابس الإلهية السماوية التي هي قوة الروح القدس كقول الرسول "إن كان أحد ليس له روح المسيح فهو ليس من خاصته" (رو ٨:٩). فليبك ويتوسل إلى الرب حتى ينال الثوب الروحاني الذي من السماء ويأخذ غطاء لنفسه العارية من القوة الإلهية لأنّ الإنسان غير المكسو بكساء الروح فهو مكسو بالعيب العظيم: عيب الأهواء الدنيئة.

لأنه كما في الأشياء المنظورة إن كان أحد عريانًا يحل به خزي وفضيحة عظيمة ، بل الأصدقاء ينصرفون عن أصدقائهم العرايا والأقارب عن أهاليهم ، بل أن من البنين من رأوا أباهم عريانًا وصرفوا عنه وجوههم لكيلا يعاينوا جسد أبيهم العريان، وإنما رجعوا على أعقابهم وستروه. ولذلك ارتفعت عنه عيونهم. كذلك ينصرف اللّه عن النفوس غير المكسوة بلباس الروح في ملء ثقة الإيمان لكونها لم تلبس الرب يسوع (رو ١٣:١٤). بالقوة والحق.

الضابط الكل - كنيسة آجيا صوفيّا للروم الأرثوذكس في القسطنطينيّة

خطورة العريّ الروحي:

٢) ثم أن الإنسان الأول لما رأى نفسه عريانًا خجل. فما أعظم فضيحة العري. فإذا كان من جهة الجسد يعتبر العري فضيحة كبرى، فكم بالحري النفس العارية من القوة الإلهية التي تكتسي ولا تلبس اللباس الأبدي الروحاني غير الموصوف وهو الرب يسوع نفسه بالحق – وهي مغطاة بالخجل والأهواء الرديئة، وكذلك كل من كان غير مكتسي **بذلك المجد الإلهي يجب عليه** أن يستحي ويقر بفضيحته كما استحى آدم من عري جسده ومع أنه ستر نفسه بورق التين فلم يزل خجله مصاحبًا له لعلمه بفقره وعريه جدًا. فعلى هذه النفس أن تطلب من المسيح الذي يعطي المجد لكي يكسوها بالمجد في النور الذي لا يوصف. بدون أن تعمل لنفسها غطاء من الأفكار الباطلة أو تنخدع بزعمها أنها بارة من نفسها وأنها تملك لباس الخلاص.

المسيح هو بر الله لنا:

٣) فإنه أن استند أحد على برّه ولم يتطلع إلى بر اللّه، هذا البرّ الذي هو الرب يسوع "الذي صار لنا برًا وفداءً" (١ كو ١:٣٠)، كما يقول الرسول ، فإن تعبه يصبح باطلاً لا ثمرة له، لأن كل زعمه ببره يظهر في اليوم الأخير كلا شيء بل يكون مثل خرقة نجسة كما قال أشعياء النبي "كخرقة الحائض كل برنا" (أش ٦٤:٦).

فلنطلب إذن من اللّه ونتوسل إليه أن يُلبسنا لباس الخلاص وهو الرب يسوع المسيح، النور الفائق الوصف الذي إذا لَبسَته النفوس لا تخلعه قط، بل تتمجد أجسادهم أيضًا في القيامة بمجد ذلك النور الذي تلبسه النفوس الأمينة الفاضلة منذ الآن حسب قول الرسول "إن ذلك الذي أقام المسيح من بين الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضًا بروحه الساكن فيكم" (رو ٨:١١)، فالمجد لمراحمه المتعطفة ولرأفته التي تفوق كل وصف وكل تعبير.

٤) وايضا كما أنّ المرأة التي كانت معتلة بنزف الدم لما صارت مؤمنة بالحق، ولمست طرف ثوب ربنا شفيت حالاً وانقطع نزيف دمها النجس، كذلك كل نفس فيها جرح الخطية الذي لا شفاء له، وينبوع الأفكار الخبيثة النجسة، إن هي أتت فقط إلى المسيح **وَصَلّت** إليه بإيمان صحيح فإنها تعود إلى الصحة وتخلص من ينبوع الأهواء الفاسدة الذي لم يكن له علاج. وذلك الينبوع الذي يخرج أفكارًا نجسة لا ينقطع ويجف إلا بقوة المسيح فقط، وليس لأحد غيره قدرة على شفاء هذا الجرح، لأنّ العدو كان محتالاً للغاية في معصية آدم حتى أنه جرح الإنسان الباطن وأظلمه أي العقل المرشد الذي ينظر اللّه. فمالت عيناه بعد ذلك إلى الخطية والأهواء وكانت مغلقة عن رؤية خيرات السماء.

المسيح وحده هو الذي يخلّص ويشفي النفس مجانًا:

٥) فهذه كانت شدة جرحه حتى أنه لم يستطع أن يشفه منه غير الرب وحده، فهذا مستطاع عنده وحده. ولهذا فقد جاءَ "ورفع خطية العالم" (يو ١:٢٩)، أي جفف الينبوع النجس، ينبوع أفكار النفس، لأنه كما أن تلك المرأة التي كانت مريضة بنزف الدم كانت قد صرفت كل ما كان لديها على الذين وعدوها بالشفاء ولم يشفها أحد، إلى أن أتت إلى الربّ بإيمان صادق ولمست طرف ثوبه فشعرت حينئذ بالشفاء في الحال، ووقف نزف الدم. كذلك هو حال النفس التي جرحت منذ البدء بجرح أهواء الخطية الذي لا شفاء له، فلم يقدر أن يعالجه أحد من الأبرار، كلا ولا الآباء ولا البطاركة.

٦) ولقد أتى موسى ولكنه لم يقدر أن يعطي شفاءً كاملاً. والكهنة والعطايا والعشور والسبوت والآهلة والغسلات والذبائح

تتمة في صفحة ١١

تفسير القداس الإلهي

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)
تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

من أجل هذه المدينة، وسائر المدن والقرى والمؤمنين الساكنين فيها، إلى الربّ نطلب.

المسيحيّون ثبات العالم

إنّ محبة اللّه جامعة ومسكونيّة فهي تحتضن كلّ البشر، وكلّ الأماكن، وكلّ الأزمنة كما يقول القدّيس مكسيموس المعترف: "المحبّة الكاملة تجود على كل البشر بالتساوي".

وكنيستنا المقدّسة تتشبّه بمحبة اللّه هذه الكاملة، وهي تحرّكنا لنقتنيها نحن أيضًا. وفيض هذه المحبة هو الابتهال لأجل مدينتنا، من أجل كل مدينة وقرية.

وكما يقول القدّيس كاتب الرسالة إلى ذيوغنيتس: "يعيش المؤمنون في بلادهم كعابري سبيل... يقيمون على الأرض، إلا أنّ السماء هي وطنهم... يحبّون الجميع ويُضطَهَدُون من الجميع". ويتابع: "وكما هو الجسد بالنسبة للنفس، كذلك هم المسيحيّون بالنسبة إلى العالم. النفس المنتشرة في كلّ أعضاء الجسد، والمسيحيون منتشرون في كلّ مدن المعمورة... المسيحيّون هم ثبات العالم".

لأنّ المسيحيّين هم نَفْس (أنفاس) العالم، يجدر بهم أن يفرحوا لفرح البشر ويتألّموا لأوجاعهم. يجدر بهم أن يحبّوا البشر أكثر مما يحبّهم ذووهم بالجسد. "لأنّ القديسين كانوا بمثابة الوالد، إذ بمحبّتهم للشعب كلّه وعنايتهم به، حجبوا محبة الوالدين حسب الجسد وتجاوزوها بما لا يقاس".

والذهبي الفم أظهر هذه المحبة الأبوية نحو المدن التي كان أبًا لها، كأنطاكية على سبيل المثال. ولنا الدليل على محبّته هذه نحو هذه المدينة في عدد من عظاته.

مع بداية عام ٣٨٧ وعندما قامت جماهير أنطاكية ثائرة من جرّاء ضريبة جديدة ساحقة فرضها الامبراطور ثيوذوسيوس، فَحُطّمت تماثيل هذا الأخير، وتماثيل أولاده وزوجته، حرم الأمبراطور المدينة من كلّ إمتيازاتها وهدّد بهدمها من أساساتها. ساد الرعب والخوف في كلّ مكان. ومن استطاع، هرب بعيدًا. كان الكلّ ينتظر حصول المكروه. عندها انطلق أسقف المدينة فلاڤيانوس، وهو رجل متقدّم في السنّ ومريض، نحو القسطنطينيّة والطقس شتاء قارس. كان يهدف إلى تهدئة غضب الإمبراطور. وبقي الذهبيّ الفم في المدينة وكان كاهنًا في ذلك الحين. فكان الشعب يلتجئ إليه. ويقول القديس: "فرغ السوق وامتلأت الكنيسة". فكان هذا الأب القدّيس يعزّي الجموع ويكشف لهم معنى المصيبة.

ولمّا التأمت محكمة تشكّلت من مبعوثين للإمبراطور في سبيل محاكمة المذنبين، عمد رهبان منقطعون لسنوات عديدة داخل قلاليهم في الجبال، "إلى ترك مغاورهم فاجتمعوا من كلّ مكان كملائكة من السماء. عندها كنت تشاهد المدينة وكأنّها سماء، لأنك كنت تشاهد في كلّ مكان أولئك القدّيسين، فكان مجرّد حضورهم يبعث التعزية في النفوس المتألمة". وفي نهاية الأمر،لمّا صار معلومًا نجاح وساطة الأسقف فلاڤيانوس ومسامحة الإمبراطور للشعب، عندئذٍ عيّد الذهبيّ الفم مع الأسقف والمؤمنين لحدث خلاص المدينة وقال:

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

"تبارك اللّه إلهنا الذي أهّلنا في هذا اليوم أن نقيم هذا العيد الشريف بالفرح والابتهاج... لأجل ذلك نشكر الإله المحبّ البشر ونتعجّب لقدرته ومحبّته للبشر وحكمته وعنايته الحاصلة لأجل المدينة".

وعندما وقع مرّة أخرى زلزال في أنطاكية، أقام المؤمنون سهرانيّات مع صلوات وأصوام طالبين رحمة اللّه. ولمّا استجاب اللّه سؤل المؤمنين، وعظ الذهبي الفم على النحو التالي: "غدت ترانيمكم أساس مدينتنا. الغضب الذي انفجر في السماء احتواه الصوت الصاعد من أسفل، من الأرض في الحقيقة... لا يخطئ من يقول إنّكم إنتم منقذو المدينة والمعتنون بها. أين هم الأشراف؟ أين هم المحرّرون العظماء؟ أنتم بالحقيقة أبراج هذه المدينة وسورها وضمانتها. لأنّ أولئك بخطاياهم قد جرّوا المدينة نحو الفساد والهلاك، أمّا أنتم فبفضيلتكم ثبّتموها".

هكذا أحبّ القدّيسون، ولا زالوا، مدينتهم وكلّ مدينة وقرية. ونحن نتشبّه بهم على الدوام، لا سيما في القدّاس الإلهيّ، فنصلّي لأجل مدينتنا ولكلّ المعمورة.

من أجل اعتدال الأهوية، وخصب ثمار الأرض وأوقات سلاميّة، إلى الربّ نطلب.

لتفرح الخليقة

بطلبتنا هذه نسأل الربّ أن يبسط بركة محبّته على الأرض والهواء والخليقة بأسرها. نطلب أن تسير الخليقة كلّها في الطريق الذي رسمه الخالق لها، "العالم المنظور خلقه اللّه كمملكة للإنسان. الإنسان هو بين اللّه والعالم فهو ملك على الأرضيّات من جهة ومملوك عليه من فوق (من اللّه)، من جهة أخرى". (القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ). يولّد مشهد العالم نفسه والحياة فيه متعة كبيرة لدى الإنسان وتبعثان فيه عرفان الجميل والشكر" . يتقبّل الإنسان العالم من اللّه "بركة"، ويرفعه بدوره إلى اللّه "كشكر". الإنسان هو ملك على عالم اللّه وكاهن له.(الذهبيّ الفم).

بالسقوط تزعزع تواجد الإنسان المتسالم مع اللّه والعالم. توقّف الإنسان عن كونه ملكًا على العالم وكاهنًا للّه، واستُعبد للفساد والموت. الأرض التي خلقها اللّه "حسنة جدًا". باتت زائلة وعرضة للفساد. وعلاقة الإنسان مع نفسه، مع العالم ومع اللّه تغيّرت. غدا سيّد العالم يغدو عبدًا للعالم، عبدًا لدى عبده القديم: "وضع نفسه تحت الذين كان منذ البدء متسلّطًا عليهم كما هي الحال من جهة طبيعتهم نفسها" . (مكسيموس المعترف).

"الخليقة بأسرها إذ شاهدت أنّ آدم قد خرج من الفردوس، لم تشأ أن تخضع للعاصي. الشمس لم تعد ترغب في أن ترسل نورها. القمر ما كان ليرضى بإرسال ضوئه، النجوم آثرت أن تبقى محتجبة عن العيون، الينابيع لم يكن لديها سبب لتفيض ماء. الأنهار لم تعد ترغب في الجريان، الهواء يفتكر أن يحتجب وألاّ يعطي نسمة للثائر. الوحوش وحيوانات الأرض كلّها، إذ عاينته عريانًا من مجده السابق، رذلته، واتّخذت إزاءه موقفًا معاديًا. السماء دفعته ليسقط منها، والأرض لم تقبل أن تحمله على كفّيها" . وسط هذا الدمار الحقيقي، تتدخّل محبة اللّه للبشر: "يجمعها كلّها بقدرته الخاصّة وبرأفته وصلاحه، يحتوي عنف الخلائق كلّها، ويخضعها على الفور من جديد للإنسان الساقط، بحيث تغدو الخليقة عرضة للفساد لأجل الإنسان الذي سقط وتخدمه كأَمَة وقد خُلقت من أجله. إلاّ أنه لمّا يتجدّد الإنسان ويغدو روحيّاً غير فاسد وغير مائت، تتحرّر هي من عبوديّتها... فتتجدّد معه وتغدو كلّها غير فاسدة وغير مائتة" (القدّيس سمعان اللاهوتيّ) .

كبح تدخّل اللّه المحبّ للبشر نتائج عصيان الإنسان، وينتظر الآن الإنسان والعالم حضور الربّ المبارك.

* * *

عاد سلام اللّه إلى العالم بقدوم المسيح. لمّا غاب هذا السلام توقف "**العالم**" عن أن يكون ما هو بالحقيقة، أي زينة اللّه. أمّا الآن فقد استعادَ معناه كزينة اللّه ومملكة سلامه (غريغوريوس اللاهوتيّ).الخليقة مدعوّة هي إيضًا إلى احتفال الخلق الجديد: "لتفرح الخليقة ولترقص الطبيعة... ارتكضي أيّتها الجبال بمولد المسيح" . في المسيح يسوع، يتواجد الإنسان والعالم معًا بسلام.

لكن حدث التدبير الإلهيّ الحاصل بالمسيح لا ينحصر فقط بكونه عودة الإنسان والعالم إلى حالة ما قبل السقوط بل هو في الوقت نفسه ارتفاع "إلى المكان حيث المسيح جالس عن يمين اللّه".

القدّاس الإلهي هو السرّ الذي يأتي بسلام المسيح مجدّدًا إلى كلّ الخليقة. لذلك نطلب الآن من اللّه أن تتوقّف عجلة دمار الطبيعة، وأن تبارك أعمال الناس السلاميّة ويسود السلام العالم كله وفقًا لأمر اللّه: "تسير السموات تحت ناظره بسلام وتخضع له. النهار والليل يتمّمان مسارهما كما حدّده هو، دون أن يعيق الواحد الآخر. الشمس والقمر والنجوم تتحرّك بانسجام في مداراتها المحدّدة لها... أزمنة ربيعيّة، صيفيّة، خريفيّة وشتويّة كلّها تعبّر بسلام مُفسحة المكان لبعضها البعض. تيّارات الهواء تهبّ هنا وهناك في أوقاتها دون أن يعترضها عائق ما" .

هذه هي البركة التي نطلب من اللّه أن يبسطها علينا: "هَب لنا الأهوية معتدلة ونافعة. امنح الأرض أمطارًا لحمل الأثمار".

من أجل المسافرين في البرّ والبحر والجوّ والمرضى والمحتاجين والأسرى وخلاصهم، إلى الربّ نطلب.

المتعبون والثّقيلو الأحمال

نصلّي إلى المسيح من أجل المسافرين في البرّ والبحر والجوّ، لأجل المرضى والمتعبين والأسرى. لأجلهم جميعًا نطلب من الربّ كي يسهّل أن تكون الأتعاب التي يكابدونها في الحياة طريقًا مؤدّية نحو مملكته المباركة.

المسيح، في القدّاس الإلهي، يدعو المتعبين والثقيلي الأحمال إلى الاقتراب منه والاستراحة من عناء الحياة. "داخل بيت اللّه تعزية المتمرمرين، سلوى المعذّبين، راحة المتعبين ورضى الحزانى. لأنّ المسيح قال: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا اريحكم. ما هو أحبّ من هذا الصوت؟ أو أعذب من هذه الدعوة؟ عندما يدعوك الربّ إلى الكنيسة، فإنّه يدعوك إلى عيد. يحمل إليك الراحة من أتعابك... ما هذا الاهتمام وهذه العناية التي لا يعبّر عنها. ما هذه الدعوة السماويّة!" (القدّيس يوحنا الذهبيّ الفم) .

عندما يلبّي دعوة المسيح ذوو الأتعاب والأوجاع منّا، نعيش إذ ذاك الراحة، راحة حضوره الأبوي، نعيش قول القدّيس غريغوريوس اللاهوتي: "تلك النفس التي تتعب هي قرب اللّه". حضور المسيح يُمْنَح لنا بامتياز في القدّاس الإلهي.

من أجل نجاتنا من كلّ ضيق وغضب وخطر وشدّة، إلى الربّ نطلب. اعضد وخلّص وارحم واحفظنا يا الله، بنعمتك.

يتبع في العدد القادم

تتمة لباس الروح من صفحة ٨

والمحرقات وسائر متفرعات البرّ كانت تُحفظ جميعها بالدقة تحت الناموس. ومع ذلك لم يكن بها شفاء النفس وتطهيرها من الينبوع النجس أي ينبوع أفكار الخطية. وكل برّ النفس لم ينفع لشفاء الإنسان إلى أن أتى المخلص نفسه الطبيب الحقيقي الذي يشفي مجانًا فبذل نفسه فداء لجنس البشر. فهو وحده صنع فداء النفس العظيم وخلاصها وشفاءها، وهو ذاته الذي حرّرها من العبودية وأخرجها من الظلمة ممجدًا إياها بنوره الخاص. فهو حقًا جفف ينبوع الأفكار النجسة الذي كان فيها لأنّ الكتاب المقدس يقول: "هو ذا حمل اللّه الذي يرفع خطية العالم" (يو ١:٢٩).

الدواء الوحيد:

٧) لأنّ أدويتها التي كانت من الأرض يعني أفعالها البارّة لم تقدر أن تعالجها وتشفيها من هذه الضربة العظيمة غير المنظورة بل يتم الشفاء بالطبيعة السماوية الإلهية التي **لموهبة الروح القدس**. فإنه بواسطة **هذا الدواء** فقط يمكن للإنسان أن يجد الشفاء ويحصل على الحياة إذ يتطهر في قلبه **بالروح القدس**. ولكن كما أن تلك المرأة، ولو أنها لم تكن قد شفيت وكان فيها مرضها لكنّها جاءت بقدميها إلى الرب، وعند مجيئها نالت الشفاء – وكما أنّ الأعمى أيضًا الذي لم يقدر أن يمشي ليأتي إلى الرب ، بسبب عماه، صرخ إليه صرخة شديدة وصل بها إلى الرب لأنه قال "ارحمني يا ابن داود" (لوقا ١٨:٣٨) وبإيمانه نال الشفاء، إذ أن الرب أتاه بنفسه وجعله يبصر بوضوح – كذلك النفس ولو أنها جرحت بجروح الأهواء الفاسدة وعميت بظلمة الخطية فمع ذلك لا تزال فيها الإرادة أن تصرخ إلى يسوع وتناديه ليأتي ويصنع لها فداءً أبدًا.

ضرورة المجيء إلى المسيح بثقة الإيمان:

٨) لأنه كما أن الأعمى لو لم يصرخ إلى الرب، والمرأة التي كان بها النزف الدموي لو لم تأت إليه لما وجدا الشفاء، كذلك الآن إن لم يأت الإنسان إلى الرب بإرادته وبكل نية قلبه ويطلب منه بثقة الإيمان التامة فلا يشفى أبدًا. فلماذا شفى هذان الاثنان للوقت بإيمانهما، ونحن لم يعد إلينا بصرنا بالحقيقة ولم نشف من أمراضنا الخفية؟ مع أن الرب يهتم ويعتني بالنفس غير المائتة أكثر من الجسد، لأنها إن انفتحت عينيها، كما يقول "إفتح عيني" (مز ١١٨:١٨) ، فلا تعمى أبدًا فيما بعد، وإن شفيت فلا تعود تنجرح أبدًا. فإنه إن كان الرب عند مجيئه علي الأرض اعتني بالأجساد الفاسدة، فكم بالحري يعتني بالنفس غير المائتة المصنوعة على شبهه؟ ولكن بسبب قلة إيماننا وانقسام قلوبنا وعدم محبتنا له من كل القلب، وعدم إيماننا به حقيقة، لذلك لم نجد بعد الشفاء الروحي والخلاص.

فلنؤمن به إذن ولنأت إليه بالحقيقة لكي يتم حالاً عمل الشفاء الحقيقي لأنه وعد بأنه يعطي للذين يسألونه **روحه القدوس** ويفتح للذين يقرعون بأن الذين يطلبونه يجدونه. فالذي وعد لا يمكن أن يكذب الذي له المُلك والقدرة والمجد الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

طرق الصيد

ذهب أحد الخدام ليخدم بين القبائل الإفريقية في الجنوب. وكان يخلط خدمته بانسكاب نفسه أمام اللّه في صلوات طويلة حارة من أجل خلاص نفوس أهل هذه القبائل.

لم تمضِ فترة قصيرة حتى وجدوه ساجدًا في مخدعه وقد أسلم روحه في يد خالقه. وكان كل حصيلة خدمته هو قبول سيدة عجوز الإيمان بالمسيح.

وتطلع كثيرون إليه على أنه فشل في خدمته لكن أحد المؤمنين كتب كتيبًا صغيرًا عن حياة هذا الخادم الذي كرّس حياته وبذل ذاته من أجل الخدمة.

بعد عدة سنوات انضم إلى حظيرة المسيح أكثر من ١٣٠٠٠ نسمة بسبب هذا الكتيّب الذي يتحدث عن حياة هذا الخادم وسيرته الطاهرة.

لقد اصطاد هذا الخادم نفس واحدة بسنارة وعظة بينما اصطاد **الألوف من النفوس بشبكة طهارته وفضيلته**. كانت حياته الفاضلة وسيرته الطاهرة هي الطعم الذي جذب الكثيرين للإيمان بالمسيح.

إنّ العالم يحتاج إلى قديسين يكرزون بروح القوة لا يحدّهم مكان ولا زمان لأنّ روح اللّه يعمل بهم.

إنّ هناك طريقتين مختلفتين في صيد السمك وهما:الصيد بالسنارة والصيد بالشبكة.فالصيد بالسنارة يجذب سمكة واحدة أما الصيد بالشبكة فيجذب سمكًا كثيرًا.

وصيد الناس أيضًا بطريقتين: الخدمة الفردية تجذب نفس واحدة. والخدمة العامة تجذب نفوسًا كثيرة.

ونجد هذا الفارق بين اندراوس وبطرس كصيادي الناس. فإندراوس كان من النوع الأول الذي يصطاد بالسنارة فهو الذي اصطاد أخاه سمعان بطرس فيقول الوحي الإلهي: "كان إندراوس أخو سمعان بطرس.. هذا وجد أولاً أخاه سمعان فقال له قد وجدنا مسيّا. الذي تفسيره المسيح. فجاء به الى يسوع" (يو ١:٤٠-٤٢).

أما بطرس فكان من النوع الثاني الذي يصطاد بالشبكة فهو الذي اصطاد بشبكة وعظه في يوم الخمسين ثلاثة آلاف نفس. إلا أنه لا ينبغي أن ننسى أنه بطرس نفسه قد أمسكت به سنارة اندراوس الذي قاده إلى المسيح.فقد تصطاد نفسًا واحدة ولكن هذه النفس قد تكون سببًا في خلاص نفوس كثيرة.

إنّ مهمة صياد الناس هي انتشال الإنسان الذي يغرق في شهوات وملذات بحر هذا العالم المضطرب. وإن قضى حياته كلها واصطاد خلالها نفس واحدة بسنارته فقد تكون هذه النفس هي الخميرة التي ستخمر العجين كله وتجتذب نفوس كثيرة بعد انتقاله إلى السماء.

الخادم الناجح هو الذي تستمر الخدمة بغيابه.

إمبراطورية روما الجديدة ومواطنيها

للكاهن المتقدم في الكهنة جاورجيوس ميتالينوس - أستاذ كلية اللاهوت في جامعة أثينا

تتمة من العدد السابق

رابعاً: بيزنطة والبيزنطيّون

لقد بحثنا واكتشفنا أنّ الإمبراطوريّة لم تطلق على نفسها يوماً الأسم بيزنطة، حتّى مواطنوها لم يدعوا بيزنطيين إلى تاريخ 1562. في هذه السّنة ولأول مرّة قام الألمانيّ **إيرونيموس وولف**، بإدخال بحث منظّم سمّاه التّاريخ البيزنطيّ Corpus Historiae Byzantinae. وهذا **يُعَدّ تعدياً ظالماً** لأنه لم يُسمّي هذا التاريخ التاريخ الرومي بل سمّاه البيزنطيّ، وذلك بغية إظهار اختلاف في تاريخ روما الغربيّة أي الإمبراطوريّة الرّومانيّة الغربيّة، الّتي منذ عام 962م أخذت اسم (الإمبراطوريّة الرّومانيّة المقدّسة للقوميّة الجرمانيّة). وفي عام 1680م قام المؤرّخ Du Cange بتسمية مؤلفه المشهور « Historia Byzantina ». حيث دخل هذا الأسم في الأبحاث العلمية لاحقاً وفي الشّرق «الرّومي» أيضا. ومثل هذا ظهر في عمل المؤرّخ الرومي (الأغريقي) نيكوفوروس غريغوراس (القرن الرّابع عشر) بعنوان «التّاريخ الرّومي» وقد سُمّي أيضا بالبيزنطيّ سنه (1562) Nicephori Gregorae, Romanae, hoc est Byzantinae, Historiae, Libri XI .

وهذا العمل هو من «منشورات فاسيليلس». أما بالنّسبة الى الجملة « Hoc est Byzantinae » والّتي تعني (هذه بيزنطية) هي جملة دخيلة من قبل المترجم وتعتبر في جوهرها **تزويراً علمياً**.

«بيزنطة» بالنّسبة لسكّان الإمبراطوريّة لم تكن سوى المدينة القديمة الّتي بُنيت مكانها روما الجديدة-القسطنطينيّة، وكانت تُدعى «بيزنطة»، بهذا الاسم لم يكن يعلم سوى سكّان هذه المدينة القديمة أو سكّان القسطنطينيّة، بكلّ المعنى المكانيّ والحصريّ والمحليّ

للكلمة، ولم يُطلق هذا الأسم بتاتاً على سكّان الإمبراطوريّة الرّوميّة. وهكذا مع استعمال الأسم بيزنطة كإسم دولي، تكوّن إلتباس حول الإسم الحقيقي للإمبراطوريّة، وأيضا حول فهم تاريخنا في العصور الوسطى. لذلك يُعدّ استخدام هذه الأسماء الدّخيلة وغير الموجودة أصلاً بشكل مصطلحات حكوميّة أو رسميّة، تزييفاً ظاهراً للتّاريخ مقروناً بأهداف محدّدة. إن قبول هذا الأسم من قبل اليونانيّين الحاليّين (وخصوصاً في القرن التّاسع عشر) وإدخاله في المناهج التعليميّة، يشهد على تمسكنا وتشبّهنا بكل شيء آت إلينا من أوروبا، ويُعدّ هذا تعبيراً عن مقدار الجهد لجعلنا أوروبيّين.

ومن النّاحية العلميّة، بهذه الطريقة، نرى إمبراطوريّة روما الجديدة انشقّت إلى قسمين روميّة وبيزنطيّة، نقرأ دائماً أنّ قسطنطين الكبير أسّس الإمبراطوريّة ناقلا عاصمتها إلى الشّرق، ومن إمبراطور رومي صار . . . بيزنطياً، وكأنّه كان ملكاً وإمبراطوراً على المدينة الصغيرة الّتي كانت تدعى «بيزنطة» فقط، إنّه بالعكس من ذلك، لقد كان جميع أباطرتنا يوقّعون بأنهم روم ولم يقوموا أبداً بغير ذلك، فعلى سبيل المثال قسطنطين باليالوغوس الحادي عشر آخر الأباطرة الرّوم وقع في سنة 1453م بأنه «إمبراطور الرّوم».

في القرن التاسع عشر قام المؤرّخ اليونانيّ الكبير وأستاذ جامعة أثينا قسطنطين باباريغوبولوس بالتّصدي بقوّة للأسم «بيزنطية» الّذي عمّ الإمبراطوريّة مفضلاً المصطلح «هيلينيّة» (أي للإمبراطورية)، وهذا طبعاً لا يتماشى هو واستخدام الأسم الصحيح والتاريخي. غير أنّ هذا لا يعود إلى عدم فهم أو خطأ من جهة باباريغوبولوس، ولكنّه نتيجة السّيطرة القوميّة والعرقيّة. إنّ هذا الوصف الّذي أُطلق على الإمبراطوريّة أي «هيلينية» مع أنه لا يعطي تاريخياً حقيقة الأشياء بالضبط، لكنّه يمثّل الحقيقة، لأنه لم يكن كلّ سكان الإمبراطوريّة يونانيّي الأصل، بل جميع المواطنين الآخرين، حضارياً ولغوياً، كانوا يونانيّين. والأصح من هذا أن يقال عنهم إنّهم روم. فلندَع ألآن المصطلح «هيلينيّة» (يونانيّة)، لأنه من الممكن أن يقود الى سوء فهم، لأنّه في أيامنا هذه يعود الى الدّولة اليونانيّة الحاليّة، التي يسكن فيها قسم من سكّان الإمبراطوريّة.

إنّ الأب يوحنّا رومانيذس والّذي يعتبر عالماً بارعاً في تاريخ الأسماء واستخداماتها، يصف استخدام المصطلح «بيزنطي» **دماراً للروميّة** ولكلّ شيء روميّ خارج بلاد اليونان، حيث يقول: «إنّ الرّوم الباقين في الشّرق الأوسط، ورومانيا، وألبانيا، لا يعلمون أنهم يعون أنّهم هم الآن بيزنطيّون أيضا، وهذا خطأ، وقد أصبح هذا يضمّهم هم أيضاً». يجب أن يكون مفهوماً أن الّذين يقال عنهم بيزنطيّون في أيّامنا هذه باللّغة اليونانيّة هم «الرّوم» أو «الرّومان» وباللاتينيّة هم «الرومانيّون» وباللّغة العربيّة والتّركيّة هم «الرّوم» أيضا بلغتهم الأولى والرسميّة وهي الروميّة.

ولكنْ هناك أهداف وأبعاد سياسيّة في استخدام الأسم «بيزنطيّ» بدلاً من الأسم «الرّوم»، وذلك منذ بدايات القرن التّاسع عشر، وهذا خَدَمَ الخطط السياسيّة للأوروبيّين الغربيّين. بهذه الطريقة كلّ شعوب الإمبراطوريّة الروميّة الّذين تحرّروا في القرن التّاسع عشر (اليونان، الصّرب، البلغار، الرّومان، . . . الخ) لم يتمكنوا من إعادة إحياء وبناء إمبراطوريّتهم ولكنّهم شكّلوا دويلات صغيرة وكانت بمثابة محميّات للقوّات الأوروبيّة الغربيّة. وهكذا فان الثّورة اليونانيّة الكبرى بدأت على أساس أنّها «ثورة روميّة» (ألكسندروس ابسيلانديس، شباط عام 1821م)، ولكن بعد ذلك أصبحت ثورة وطنيّة مع انشقاق شعوب البلقان، وهناك تحوّلت أيضا من ثورة روميّة مسكونيّة الى وطنيّة قوميّة، وكان ذلك ظاهراً بقوّة، ومع الحفاظ على قوميّة وأصوليّة كلّ مجموعة بلقانيّة، سارعوا في تشكيل دويلات وطنيّة لهم، ولم يأخذوا بعين الاعتبار الإمبراطوريّة الواحدة «أي بمعنى أن تكون النّهضة نهضة مشتركة للإمبراطوريّة المشتركة». إنّ الأتراك حافظوا في لغتهم الحاليّة إلى أيّامنا على بعض الكلمات التاريخيّة والّتي تُميّز الإمبراطوريّة، فإنهم يسمّون سكّان الدّولة اليونانيّة (يونان) (Junan)، أمّا الرّوم السّاكنون في مدينة القسطنطينيّة فيسمّونهم «روما»، (روميّين، أو رومي). لكنّهم لا يسمّون الإمبراطوريّة (رومانيّة أو روميّة) بل بيزنطة أو بيزنطيّة جارين بذلك هم أيضاً على المثال الغربيّ الأوروبي.

يتبع في العدد القادم

الأخوة النيام في الكنيسة

ذهبَ بعض الأخوة الرهبان إلى أبيهم الروحيّ القدّيس الأنبا بيمن الأب الرؤوف، ذهبوا، وفي قلبهم غيظٌ وكمَد.. بحماس يعوزه البصيرة والشفقة، كانوا يشكون له حال زميلهم الذي لاحظوا عليه ، نومه في الكنيسة أثناء تأدية الخدمات. بادروا أبيهم الروحيّ قائلين:

+ لقد وجدنا أخاً لنا نائماً في الكنيسة أثناء الصلاة وحيثُ تحين ساعة الجهاد .. فماذا تفعل يا أبانا؟!

أجابَ القدّيس في هدوء ، وقد لاحظَ عليهم فقدان المحبّة، المتأنيّة المترفّقة، وقال: إن وجدتُ أخي نائماً في الكنيسة كما تقولون .. فإنّني أفسح له، وأضع رأسه على ركبتيّ ليستريح!!

هنا تذمّر الأخوة، وظنّ أحدهم أنّ معلّمهم جانبَ الصواب في ردّه، فسأل متجاسراً:

وما الجواب الذي تُعطيه للمسيح، إزاء هذا العمل .. يوم الدّين؟!

هنا أطرقَ القدّيس إلى الأرض ، يتكلّم في عذوبة وثقة .. وقال: سأقول لربّي .. لقد قلتَ لي إلهي ، أخرج الخشبة من عينك أولاً .. حتى تُبصر جيّداً أن تُخرج القذى من عين أخيك!

وخرج الأخوة، منتفعين وانصرفوا ..

وقبلَ أن ينصرف الأخوة، ألا نتعلّم نحنُ الدرس، فلا ينفذ صبرنا سريعاً، ونسرع في الحُكم على الآخرين، ندين تراخيهم وكسلهم، في الوقت الذي تمتلأ فيه حياتنا هواناً .. وخشباً كثيراً يملأ عيوننا فلا نلتفت إلاّ إلى خطايا الآخرين، بينما تتزاحم خطايانا فينا.. خطايانا الكثيرة التي تدعونا إلى الخزي والعار.

أنا هو الراعي الصالح

للأب أنتوني م. كونياريس
كاهن كنيسة القديسة مريم
للروم الأرثوذكس في مينيا بولس

أنا هو الراعي الصالح

أنا هو الراعي الصالح ، أنا هو الأسد الذي من سبط يهوذا .

واحدٌ من أرق الأوصاف عن اللّه في الكتاب التي أعطاها يسوع كانت عندما قال : "أنا هو الراعي الصالح" (يو ١٠:١٤)، ومن بدء المسيحيّة كان هذا الوصف عن المسيح هو الأكثر تفضيلاً، فنحن نراه بهذا الوصف وهو مصوّر على جدران المقابر القديمة، كما أننا في الحقيقة نجد أنّ كلمة "راعي pastor " هي الكلمة التي نستخدمها اليوم عن رجل الدين المسيحي، ومن بداية العهد القديم إلى آخر أسفار العهد الجديد يُشير الكتاب المقدّس إلى اللّه باعتباره الراعي أكثر من **ثمانين** مرّة.

فالنبي أشعياء يصف اللّه كراعٍ يحمل خرافه بين ذراعيه فيقول:

"كراعٍ يرعى قطيعه، بذراعه يحمل الحملان، وفي حضنه يحملها، ويقود المرضعات" (إش٤٠:١١). ويقول داود النبي : "لأنه هو إلهنا، ونحن شعبه، وغنم مرعاه" (مز ٩٤:٧).

وهذا الفكر عن اللّه باعتباره الراعي يَنْسابُ عبر صفحات الكتاب المقدّس مثل عنقود ذهبي إلى أن نصل إلى آخر أسفار الكتاب، حيث نقرأ في سفر الرؤيا (٧:١٧):

"لأنّ الخروف الذي في وسط العرش، يرعاهُم ويقتادُهم إلى ينابيع ماءٍ حيّة، ويمسح اللّه كل دمعة من عيونهم".

وللحصول على المعنى الكامل لكلمة: "راعي"، لا بُدّ لنا من الرجوع إلى المزمور الثاني والعشرين. ذات مرّة قال القدّيس أمبروسيوس : Ambrose "إنّ الكتاب المقدّس بأكمله به أنفاس نعمة اللّه، ومع ذلك فإنّ سفر المزامير له الأسبقيّة في ذلك"، ومن جميع المزامير، هناك مزمورٌ **سَحَرَ خيال الكبار والصغار على حد سواء**، كما أنه يمنح الناس المزيد من الراحة والقوة والرجاء أكثر من أي مزمورٍ آخر، إنه مزمور الراعي:

"الرب يرعاني فلا يعوزني شيءٌ. في مكان خُضرة هناك أسكنني. على ماء الراحة ربّاني ردَّ نفسي. وهداني إلى سبيل البر من أجل اسمه. إن أنا مشيت في وسط ظلال الموت، لا أخشى الشرّ، لأنك معي. عصاكَ وقضيبك هما يعزّياني. هيّأتَ قدّامي مائدة مقابل الذين يحزنوني. دهنتَ بالدهن رأسي وكأسك تسكرني كالصرف. ورحمتك تظلّلني جميع أيام حياتي. وتسكنني في بيت الرب إلى طول الأيّام" (مز ٢٢).

يقـود

فكّر لحظة واحدة في الصورة التي يُقدِّمها لنا هذا المزمور عن الراعي.

إن الراعي يقود خرافه ويتقدّم أمامها حتى ينزع النباتات السامّة، ويطرد الحيوانات المفترسة، ويجد لها أماكن ظليلة من أجل راحتها، ومراعي كي ترعى فيها. الراعي يروي عطش الخراف، إذ يقودها للشرب من : "**مياه الراحة**"، كما يكون معها عندما تعبر الأماكن الوعرة: "**في وادي ظل الموت**"، ويضمِّد جراحاتها بالزيت وفي المساء يقودها إلى مكان الأمان في الحظيرة، وعندما تدخُل جميع الخراف الحظيرة، يرقُد الراعي عبر المدخل لمنع أي حيوان مفترس من الوصول إلى الخراف ما لم يمرّ على جسد الراعي أوّلاً.

أنا بنفسي هو الراعي

ولدينا صورة أُخرى عن الراعي في سفر حزقيال، فالربُّ يتنبأ على رعاة إسرائيل الكذبة الذين كانوا يرعون أنفسهم وليس القطيع ويقول لهم: "المريض لم تقووه، والمجروح لم تعصبوه، والمكسور لم تجبروه، والمطرود لم تستردوه، والضال لم تطلبوه، بل بشدة وبعنف تسلطتم عليهم" (حز ٣٤:٤).

ثم يتنبأ اللّه قائلاً: "هأنذا أسأل عن غنمي وأفتقدها". (حز ٣٤:١١).إنّ نبوّة العهد القديم هذه قد تحقّقت في المسيح حيث قال: "أنا هو الراعي الصالح"، فالمسيح ليس هو راعيًا فقط، ولكنّه راعٍ صالح لا يهدأ له بال عندما يكتشف أنّ هناك خروفًا واحدًا ضائعًا، ولا يعزّي نفسه بأن يقول: "حسنًا، ماذا ينفعني خروفٌ واحد بينما لديّ تسعة وتسعون خروفًا في أمان في الحظيرة"، ولكنّه بدلاً من ذلك، يخرج في منتصف الليل للبحث عن الخروف الضال، وعندما يجده يفرح: "أيُّ إنسان منكم له مئة خروف، وأضاع واحدًا منها، ألا يترك التسعة والتسعين في البريّة، ويذهب لأجل الضال حتى يجده؟ وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحًا، ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم: "إفرحوا معي، لأنّي وجدتُ خروفي الضال!" أقول لكم: "إنه هكذا يكون فرحٌ في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارًا لا يحتاجون إلى توبة" (لو ١٥:٤-١٧).

الاهتمام بالضال

هناك أسطورة جميلة لدى اليهود تشرح لماذا اختار اللّه موسى لقيادة شعبه. يقولون إنّ موسى عندما كان يرعى خراف حميه في البريّة، هرب حملٌ صغيرٌ من القطيع، فانطلق موسى يبحث عنه، فوجده يستقي بجوار أحد مجاري المياه، وعندما رأى موسى هذا المشهد قال برقّة للخروف: "لم أكن أعلم أنك هربت لأنك كنت عطشانًا إلى هذا الحد، والآن أظن أنك متعبًا للغاية"، فوضع موسى الحَمَلَ المُتْعَب على كتفيه عائدًا به إلى القطيع. فقال اللّه لموسى، بحسب قصّة الأسطورة: "يا موسى، لأنك أظهرت الرقّة في إرجاع أحد خراف القطيع التابع لرجل ما، ها أنا أختارك لتقود قطيعي إسرائيل".

كان اهتمام موسى بخروف واحد ضال هو الأمر الذي كان له انطباعٌ جميل لدى اللّه الذي يهتّم نفس الاهتمام بأولاده الضّالين، لأنه هو الراعي الصالح.

ولأنه الراعي الصالح، فإنه تحنّن على الجموع لأنهم كانوا كخرف لا راعي لها: "ولمّا رأى الجموع تحنّن عليهم، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعي لها" (مت ٩:٣٦).

ولأنّه الراعي الصالح، فلذلك قال للتلاميذ: "لا تخف أيها القطيع الصغير، لأنّ أباكم قد سُرّ أن يُعطيكم الملكوت" (لو ١٢:٣٢).

كثيرًا ما تكلّم يسوع عن الخراف الضالة. كتب جورج باتريك George Butrick مقالاً لا ينسى عن هذا الموضوع في: "الكتاب المقدّس التفسيري Interpreter's Bible" يقول فيه:

"سأل رجلُ المدينة: "كيف تضلُّ الخراف؟" فردّ عليه الفلاّح قائلاً: "إنها ببساطة تبدأ في تناول طعامها ببطء، ثم تطرق برأسها إلى أسفل، ثم تهيم شاردة من رابية خضراء إلى أخرى إلى أن تصادف فتحة في سور تدخل منه، ولكن هيهات أن تجد هذه الفتحة مرة أخرى لتعود منها إلى طريقها". فقال رجل المدينة: "إنها مثل البشر، ومثل كل جيل من أجيال البشر الحمقى".

نعم، كم تشبه هذه الطريقة، الطريقة التي يضل بها البشر، إنهم يجولون خلال هذا العالم ووجوههم مُطرقة إلى أسفل، وأفكارهم متمركزة على المتعة التالية الوقتية التي تنتظرهم، إلى أن يستيقظوا أخيرًا ليجدوا أنفسهم في وحدة وضياع وضلال مُحقق، وهذا ما كانوا قد وصلوا إليه إلا لأنهم ساروا فيه بمحض إرادتهم، ومع ذلك فهم ليسوا على انفراد ومتروكين، فهناك من يبحث عنهم، ومن يعتني بهم، ومن يحبهم. **إنّ الراعي الصالح** يبحث جادًا عنهم ليرجعهم إلى الحظيرة، إن أرادوا.

"خراف" لا "خنازير"

قال شخص ذات مرّة عن سبب أن يسوع دعانا خرافًا لا خنازير: "ذلك لأنّ الخروف عندما يسقط في بركة من الطين، فإنه يقوم وينتفض منه للتو ويسرع خارجًا، أمّا الخنزير، فإنه يحب ذلك ويظل متمرغًا في الوحل". إنّ المسيحي ليس هو الشخص الذي لا يسقط أبدًا، **ولكنّه هو الذي يقوم كلّما سقط**، الذي يقوم ولا يستحلي أن يظلّ ساقطًا، الذي يعود إلى غفران الراعي، والذي يرى نصيبه في السماء والملكوت وليس في الطين والوحل.

نداء الراعي

"يدعو خرافه الخاصّة بأسماء ويخرجها" (يو ١٠:٣). من المحتمل أن تكون مجهولاً من كثيرٍ من الناس، ولكن ليس هذا هو الحل مع الراعي الصالح. إنّه يعرفك باسمك، ويدعوك باسمك.

قصّة : حكى **كلارنس. إي. ماكارتني.** عن راعي أغنام في اسكتلاندا فقال: كان الراعي يأخذ معه ابنته الصغيرة بينما كان يرعى الخراف، وكثيراً ما كانت الفتاة الصغيرة تحب أن تسمع أباها يُنادي على الخراف بصوته المميّز لها، وكان أبوها يستخدم صوتًا واضحًا عاليًا مُناشدًا الخراف لمطالبه.

شيئًا فشيئاً كبُرت الفتاة وانطلقت إلى أدنبرة للعمل في إحدى الوظائف، ومن هناك أخذت هذه الفتاة في إرسال خطابات إلى أهلها بانتظام كل أسبوع، ثم أصبحت أقل تكرارًا بعد ذلك، إلى أن توقفت تمامًا. تواردت شائعات فيما بعد من المدينة أزعجت الراعي جدًا، فقد أكدّ كثيرون أنهم شاهدوها ترتاد أماكن مشبوهة، وكذلك تواجدها مع أشخاص أردياء، ثم استمرت هذه الأقوال ترد من أسوأ إلى أسوأ ، وأخيرًا لم يعد الأب يحتمل ذلك، فانطلق الى المدينة يبحث عنها، واستمر في هذا أياماً طويلة، ولكنه فشل في أن يجدها.

كاد الأب أن يُعلن إستسلامه في يأس، ولكنه تذكر كيف كانت ابنته تشعر بالسعادة عندما كانت معه في الحقول، وكم كانت بهجتها عندما كانت تشاهد الخراف الصغيرة تركض نحو أبيها استجابة لندائه المميّز. لذلك بدأ هذا الأب في اجتياز الشوارع المختلفة ذهابًا وإيابًا وهو يصدر نفس النداء المألوف الذي كان يصدره في الحقول، ويومًا ما سمعت ابنته هذا النداء، فتحرّكت في داخلها، حاولت أن تقاوم، ولكن النداء كان أقوى من مقاومتها، فانطلقت إلى الشارع وهي ترتمي في أحضان أبيها الراعي.

يمكننا أن نترك اللّه وننساه، ولكنه لا ينسانا، ومع أننا نجتهد أن نتركه وحيدًا، إلا أنه لا يتركنا وحيدين. هو معنا : قبل الخطية، وفي أثناء الخطية، وبعد الخطية منتظرًا رجوعنا إليه.

خلال وادي الظلال

ولأنه الراعي الصالح، فإنّ يسوع يبقى باستمرار مع خرافه: "يذهب أمامها، والخراف تتبعه..." (يو ١٠:٤)، وحتى لو سرنا خلال وادي ظل الموت، فلا نخاف شرًا لأنه معنا، كما أنه لا يسمح أن يجعلنا نبقى في الوادي، بل يقودنا دائمًا من خلاله إلى طريق أرحب سبق فأعدّه لنا. إنّ حرف الجر المستخدم هو ليس: "في in"، ولكن: "من خلال through" وادي الظل. كم من الارتياح الهائل نشعر به حين نؤمن أنّ الرب الذي هو راعي يرشدني، كما أنه لا يسمح لي أن أبقى في الوادي، ولكنه يقودني من خلاله إلى شيء أفضل جدًا، ولكن من خلاله، إنّ المزمور ٢٣ يجلب الراحة حقًا لجميع البشر، وبصورة خاصة للمرضى والحزانى. إنّه واحد من أكثر الصلوات المُفضّلة لأولئك الذين هُم على فراش المرض في كل مكان من أرجاء العالم.

قصّة:

كانت سيّدة تواجه عمليّة جراحية خطيرة، وكانت مرتعبة للغاية، مع أنها كانت تُعالَج تحت رعاية أفضل الأطباء، وكات هي على علم بهذه الحقائق، إلا أنّ هذا لم يُنقص من مخاوفها. استدعوا لها قسّ الكنيسة ليدهنها بزيت مسحة المرضى وليصلّي لها، ولكنها ظلت في ذات الرعب، فاقترح عليها الكاهن أن تقرأ **المزمور ٢٢** وأن تصلّي به مرارًا وتكرارًا، وهنا، هنا فقط، بدأت مخاوفها في أن تخفت، وأخذت المرأة في الهدوء والشعور بالسلام. بعد الجراحة قالت المرأة للقس:

"لستُ أدري كم مرّة صليت فيها بهذا المزمور، لا بدّ أنّه لا يقل عن **١٠٠ مرّة**. إنّ هذا المزمور جعلني أشعر أنّ اللّه بالفعل معي، كما جعلني أشعر كما لو كنتُ واحدة من حملانه الصغيرة المريضة والتي يحملها بين ذراعيه. قُدس أبي القس: إن مخاوفي قد زالت تمامًا".

كما يوجد مثال آخر في رائد الفضاء **جون كلين** أوّل أمريكي يدور في مدار حول الأرض. كان جون بالفعل في أوج مجده على مستوى العالم كله، ولكنّه سرعان ما مرّ **باختبار** اضطره أن يسير من خلال وادي ظل الموت بعد كل هذا الإنجاز الفريد المجيد الذي ناله من خلال مثل هذه الشهرة العريضة. كان المستقبل يبدو مشرقًا أمام جون، فقد كان يخطّط للعمل في الكونجرس، ولكنه تعرّض لحادثة قد يعتبرها بعضنا دعابة، إن قدمه انزلقت وسقط في حوض الاستحمام، لقد أصيب وأصبح يعاني من نوبات دوار قاسية، وكان هذا بمثابة نهاية المطاف أمام أحلام جون وخططه وآماله العظيمة في المستقبل. وما زال الطين بلّة أن زوجته سرعان ما مرضت، ثم تلا ذلك مرض أبيه وأمّه، وبعد ذلك تعرّض لسلسلة من النكسات المادية

رائد الفضاء جون كلين

إنّ هذا الرجل الذي كان يُحلّق في أرجاء وأمجاد الفضاء وجد نفسه وقد سحقته الحياة بلا رحمة أو هوادة، إلا أن جون كان رجلاً تقيًا مكرسًا حياته للّه، كما كان رجل صلاة، وعندما أخذ يصارع خلال وادي الظلال، لم يكن يشعر أبدًا بالوحدة ولا باليأس، كما لم يخشَ شرًا، لأنه كان يشعر **بالحضور المشدِّد والمُقوّي والمعزّي لراعيه الصالح** الذي كان يعبر به ويقوده من خلال الوادي إلى مراعٍ أفضل في الآفاق. وهذا ما قاله جون بنفسه: "هناك تكون متعةً في شيء مثل هذا عندما يُفرض عليك، مثل الألم والتجارب، أنك تتوقف لتعلم وترى إلى أين تذهب. إنّك تستجمع قواك وتلتقط كل الفرص حتى تأخذ الاتجاه الذي تشعر أنّه الأفضل".

ولأنّ **جون كلين** كان مؤمنًا، وكان قادرًا أن يقول: "الربُّ راعيّ..."، لذلك فقد استطاع أن يقول أيضاً: "نعم، وإن سرتُ عبر وادي ظل الموت، لا أخاف شرًا، لأنك أنتَ معي..".

يا له من اختلاف في الحياة عندما يؤمن الإنسان ويستطيع أن يقول: "الربُّ يرعاني، فلا يعوزني شيء...".

أعضاءٌ في قطيعه

عندما تعمّدنا ونلنا مسحة الميرون المقدّسة، أصبح كل واحد منّا عضوًا في قطيع المسيح، أصبح المسيح راعينا، وكل ما يفعله الراعي من أجل الخراف يفعله المسيح لأجلنا، وإن كان طبعًا بصورة أفضل وبفعل أبدي لا نهائي. المسيحُ يدافع ويُحارب عنّا أعداءنا، كما ويغذينا بجسده المقدّس ودمه الكريم، ويرشدنا، ويعرف خرافه واحدًا واحدًا، ويدع كل واحد باسمه، ويمنحنا حياته.

يقول الرب يسوع:

"أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف، وأمّا الذي هو أجيرٌ، وليس راعيًا، الذي ليست الخراف له، فيرى الذئب مُقبلاً ويترك الخراف ويهرب، فيخطف الذئب الخراف ويبدِّدها، والأجير يهرب لأنه أجير، ولا يبالي بالخراف، أما أنا فإني الراعي الصالح... وأنا أضع نفسي عن الخراف" (يو ١٠: ١١-١٥).

ليس لأحد حبٌ أعظم من هذا: أن يضع أحد نفسه لأجل أحبّائه. لقد فعل يسوع – راعينا الصالح – هذا من أجلنا.

أعرف خاصتي

هناك خاصيّة أخرى للراعي الصالح قالها يسوع وهي: "أعرف خاصتي وخاصتي تعرفني" (يو١٠: ٤) ، وعن هذا يكتب ويليام باركلي قائلاً:

"إنّ الخراف تُربّى في الغرب من أجل الذبح بصورة أساسية، أمّا في الشرق فإنها تربى من أجل الحصول على ألبانها وأصوافها، والنتيجة هي أنّ الراعي يعيش في الشرق مع الخراف لمدة تتراوح بين ثماني أو تسع سنوات، ويكون لدى الراعي من ثم اسمٌ لكل خروف من قطيعه ، والخراف تعرف اسماءَها، وغالبًا ما تكون الأسماء وصفيّة، مثل: "صاحب القدم البنيّة"، أو : "صاحب الأُذن السوداء"، وهكذا فإنّ الراعي الصالح يدعو خرافه بأسماء".

يقول يسوع: "خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها..." (يو ١٠: ٢٧). يعتقد البعض أنّ الخراف لا يمكن تمييزها الواحد عن الآخر بصورة عمليّة إلاّ عن طريق الراعي الصالح فقط. إنّه يعرفنا ولا يخلط بين اثنين، إنّه يعرف هيئتنا الخاصة، كما يعرف أيضًا خصوصيّاتنا، ويعرف مشاكلنا الشخصيّة. إنّ يسوع يعرفنا واحدًا فواحدًا كأفراد مُميّزين، ولا يتعامل معنا كما لو كنّا جميعًا مُتشابهين. إنه يُراقب حياة كل واحد كما لو كانت تُمثّل له شخصية منفصلة وفريدة. إنّ راعينا لا يعرفنا فقط، بل وأيضاً يُحسّ بنا. إنّه يشعر بنا ويستجيب لما يُفيدنا لأنّه جُرِّب من قَبلِنا، ومن ثم يقدر أن يرثي لضعفاتنا، ويقدر أن يعين المجرّبين.

وأمّا الغريب فلا تتبعه

يقول يسوع: "خرافي تَسمع صوتي... فتتبعني... والخراف تتبعه، لأنها تعرف صوته، وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه،

لأنها لا تعرف صوت الغرباء" (يو ١٠: ٢٧ و ٤ و ٥). يقول الرب إنّ الخراف تعرف صوت راعيها، لأنّ كلّ راعٍ يتميّز بنداء أو صرخة خاصّة، والخراف تعرف هذا النداء ولا تستجيب لأيِ نداء آخر: "وأمّا الغريب فلا تتبعه"، ولو قام أي غريب بتقليد صوتِ الرّاعي فإنّ الخراف تتوقف وترفع رأسها، ثم تركض مسرعة نحو راعيها الحقيقي حيث تربض بالقرب منه. إنّ صوت الغريب يُنذر الخراف وينبِّهُها، ولكنَّها لا تتبع إلاّ الراعي.

إنّنا نعيش في عالم نسمع فيه قدرًا هائلاً من الأصوات التي تستحثنا أن **نُخْضع حياتنا للأصوات المربكة المزعجة**، فماذا نحن فاعلون؟ إنّ المَسيحي الحقيقي يستطيع أن يسمع دائمًا ذلك الصوت الهادئ لراعيه الصالح، وهو يدعوه للطريق الحقيقي المُستقيم، فهو يميّز هذا الصوت ويتبعه.

نداء الراعي

وفي الختام، علينا أن نتذكّر أنّ الراعي لا يقود الخراف دائمًا إلى المراعي الخضراء وماء الراحة، بل قد يدعوها أحيانًا ليتم جزُّ صوفها ، أو للحليب للاستفادة من لبنها، بل وأحيانًا أيضًا لذبحها، لذلك علينا عندما نُرنِّم مزمور الراعي أن نتذكّر أنّ الراعي هو ربُّنا، وأنّ له سلطانًا كاملاً على كل كياننا، وعلى كل ما نمتلكه: أصواتنا، وألباننا، وحملاننا، وأجسادنا، ودمائنا. أن نكون وسط قطيع المسيح، فهذا يعني الأمن والأمان، ولكنّه يعني أيضًا أنّنا قد سلّمنا حياتنا للراعي الصالح ليقودنا، وأنّنا نثق فيه مهما حدث، وأنّنا مستعدون للتضحية بكل شيء لأجله: "إننا من أجلكَ نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح" (رو ٨: ٣٦).

راعيّ الشخصي

يُخبرنا **ليزلي ويذيرهيد** عن حضوره حفلة رائعة قامت بعرض سيمفونيّة: "**مسيّا**" للموسيقار هاندل Handel، وذلك بمصاحبة أوركسترا قوامُها مئة عازف، وعندما وصلوا إلى فقرة هللويا وقفَ الجميع، وعندما بلغت الترنيمة المُلهمة ذروتها:

"ملك الملوك، رب الأرباب

سوف يملك إلى الأبد وإلي الدهر، إلى الأبد وإلى الدهر،

هللويا، هللويا، هللويا!"

لم يستطع أحد الأصدقاء الواقفين بجواره من التحكُّم في نفسه إلا بصعوبة بالغة. وفيما كانوا يستعدّون للجلوس، سالت الدموع على وجنتيه، همس في أذن **د. ليزلي** قائلاً: "كان الذي يُرنِّمون له هو مخلصي!". قال **د. ليزلي** فيما بعد: (لم أنسَ على الإطلاق، ولن أنسى أبدًا، ذلك المعنى الذي وضعه صديقي في هذه الكلمة: "مُخلِّصي").

استخدم **د. ويذرهيد** هذه القصة في واحدة من مؤلفاته فقال: "إنّ يسوع، الراعي الصالح، مستعدٌ أن يقول عنك: "**خروفي، فهل أنت مستعدٌ أن تقول عنه: "راعيّ؟**

إن أمكنك ذلك أنت أيضًا، فسوف تستطيع أن تقول مع المرنِّم:

"**يردُّ نفسي...**" ، "**لا يُعوزني شيء...**".

"**لا أخافُ شرًا**" "**أسكن في بيت الرب الى الأبد**".

"خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحدٌ من يدي" (يو ١٠: ٢٧ و ٢٨).

"يا أرواح الناس، لماذا تتبدّدون
مثل حشد من الخراف التائهة؟
أيتها القلوب الحمقاء! لماذا تشردين
عن مثل ذلك الحب الصادق العميق؟
هل كان هناك مثل هذا الراعي الرقيق
منتهى الرقة، ومنتهى الحلاوة.
هل هذا المخلص الذي يشتاق دائمًا الينا.
يأتي ونجتمع عند قدميه؟"

قالت فتاةٌ صغيرة: "**الرب يرعاني**"، وهذا جلّ ما أتمناه.

مناجاة

+ يا رب، هبني روح التمييز لكي أميِّز صوتك فلا أنخدع بأصوات غريبة تأتيني من هنا أو هناك، لأنّ خرافك تسمع صوتك فتتبعك ولا تسمع صوت الغريب.

+ أنت هو راعيَّ ووليَّ، بين يديك أشعر بالأمان، لأنّك أنت تحمي خرافك من خطر الهلاك. ما دمتُ أسمع صوتك في الإنجيل وأقبع في حظيرتك المُقدَّسة التي هي الكنيسة وتعاليمها، فلا خوف عليّ من اختطاف أو افتراس، لأنّني حينئذ أكون في حماية راعٍ قوي قدير قادر على الحفظ والحماية، والصون والعناية، لأنّه ملك الملوك ورب الأرباب، القادر على كل شيء.

+ يا رب، اذكُر النفوس التي تركت حظيرتك عن جهالة أو غباء، وذهبت لترعى وسط الذئاب.. **بين الإنكار والجنس والمخدّرات والشهوات**، عيني يا رب نحوك لتطلق هذه النفوس من أسرها، فلا أمل في النجاة سوى فيك وحدك أيها الراعي الصالح، يا من أنت وحدك القادر أن تُخلِّص حملانك وتحطِّم قوّة سلاطين الظلمة وتخلِّص النفوس من قبضتها، فتبدِّل موتها إلى حياة بعد أن تعود إلى حظيرتك.

+ افتح يا رب آذان الصمَّ ليسمعوا رسالة الإنجيل ويؤمن بك كل الغرباء من حظيرتك، فتكون رعيَّة واحدة لراعٍ واحد.

ألوهية الروح القدس
في النصوص الليتورجيّة

I- مقدمة

١- لقد حرص آباء الكنيسة الذين وضعوا نصوص هذه الليترجيات مثل القديس باسيليوس الكبير ، والقديس غريغوريوس اللاهوتي والقديس كيرلّس الأسكندري والقديس يوحنا الذهبي الفم، على التعبير عن أهم العقائد الأساسية للإيمان المسيحي – **التي نجدها في كتاباتهم العقائدة والدفاعية** – في نصوص هذه الليتورجيات.

٢- تعرّض أقنوم الروح القدس، وهو الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس، لهجوم حادّ من الهراطقة في القرون الأولى من المسيحية الأمر الذي تصدى لهُ آباء الكنيسة الكبار مثل العلامة ديديموس الضرير ، والقديس باسيليوس الكبير أسقف قيصرية ، والقديس غريغوريوس اللاهوتي، والقديس أمبروسيوس أسقف ميلان ، وغيرهم . بل أن الكنيسة عبّرت عن إيمانها بالروح القدس وعمله في الكنيسة من خلال التحديد الذي أقره المجمع المسكوني الثاني عام ٣٨١م **ذلك التحديد** الذي أُضيف إلى ما أقره المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥م في نيقية والخاص بأقنومي الآب والابن، وجاءت النصوص الليتورجية بعد ذلك لكي تعبّر وتؤكّد على هذا الإيمان بالثالوث أي الإيمان أيضًا بألوهية الروح القدس كما ورد في النص النهائي لقانون الإيمان أو في الصلوات والذكصولوجيات فأعطت هذه النصوص للروح القدس المجد والكرامة والعزة والسجود مع الآب والابن معبّرة بذلك عن إيمان الكنيسة بوحدة الجوهر ومؤكدة فعل الروح القدس الإلهي في كل شخص وكل سرّ من أسرار الكنيسة.

II- نشأة وتطور الهرطقات التي انكرت ألوهية الروح القدس:

لا يمكن أن نفصل هرطقة إنكار الوهيّة الروح القدس عن هرطقة إنكار ألوهية الابن التي نادي وعلّم بها آريوس في بداية القرن الرابع الميلادي. فلقد تضمّنت تعاليم الآريوسيين تعاليمًا أنكرت ألوهية الروح القدس وأقنوميته أيضًا، غير أنها ركزت في بادئ الأمر على إنكار ألوهية الابن استمرارًا للهجوم الذي تعرّض له "**لاهوت الابن**" من قبَل هرطقات كثيرة منذ القرن الثاني الميلادي. ويعبّر القديس أثناسيوس الكبير عن موقف الآريوسيين من عقيدة ألوهية الروح القدس فيقول: (إنّ هذا التفكير ليسَ غريبًا على الآريوسيين لأنهم أنكروا كلمة اللّه فإنه من الطبيعي أن ينطقوا بنفس التجديف ضد روحه) "رسائل القدّيس أثناسيوس إلى الأسقف سيرابيون". وبينما كانت الكنيسة تنعم بانتصار العقيدة الأرثوذكسية في المجمع المسكوني الأول ٣٢٥م وإقرار قانون الإيمان النيقاوى كان المعارضون لتحديدات هذا المجمع يحاولون الدفاع عن أنفسهم وآرائهم الفاسدة متخذين من "عقيدة" إنكار ألوهية الروح القدس معقلاً دفاعيًا أخيرًا. وتمثلت الهرطقات التي أنكرت ألوهية الروح القدس في مجموعتين:

أ- التروبيكيون: Τροπικοί

هذا الاسم اليوناني الذي أطلقه القديس أثناسيوس على المجموعة التي أنكرت ألوهية الروح القدس يعني "**المحرِّفون**"، حيث كانوا يقومون بتفسير آيات الكتاب المقدس في غير سياقها **محرِّفين** معناها لتدعيم أفكارهم الخاطئة. ظهرت هذه المجموعة في مصر وقد كانوا أولاً ضمن الجماعة التي حاربت قانون الإيمان النيقاوى فيما يختص بألوهية الابن ثم انفصلوا عنهم عام ٣٥٨م منكرين ألوهية الروح القدس. التي نادت بأن الروح القدس مخلوق من العدم وأنه ملاك أعلى من بقية الملائكة في الرتبة وإن كانوا يحسبونه ضمن الأروح الخادمة (عب ١: ١٤) ونتيجة لذلك فهو بحسب رأيهم من جوهر مختلف عن جوهر الآب والابن كما أنه لا يشبه الابن. ولقد قضى القديس أثناسيوس على أفكارهم الخاطئة، وفي مجمع محلي بالإسكندرية عام ٣٦٢م تمت إدانة تعاليمهم الهرطوقيّة.

ب. المقدونيون:

في الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي ظهرت مجموعة أخرى عُرفت باسم محاربي الروح Πνευματομάχοι واشتهرت بالمقدونيين على اسم مقدونيوس أحد أساقفة القسطنطينية تلك المدينة التي كانت مركز تجمع أغلب أتباع هذه الهرطقة.

لم يدعو المقدونيون الروح ربًا، كما أنهم رفضوا أن يُمجد مع الآب، فبالنسبة لهم، الروح القدس، ليس عاملاً مع اللّه συνεργός وذلك لأنه لا يَخْلق ولا يعطى حياة.

الروح القدس حسب تعاليمهم هو مثل الملائكة υπηρέτης خادم للّه οργανον وأداة له ومع ذلك لا يعتبر ملاكًا وهو غير مشابه للآب والابن فهو إلهي θειον ولكن ليس إلهًا θεός ، وهو مبتدئ ولكنه ليس مخلوقًا.

٣- ألوهية الروح القدس في النصوص الليتورجية:

لقد حفظ لنا التقليد (التسليم) الكنسي الإيمان الذي تسلمته الكنيسة من المسيح بواسطة الرسل والآباء القديسين. ومنذ وقت مبكر نجد أن هذا التقليد يثبت وباستمرار ألوهية الروح القدس، إذ هي مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بعقيدة الثالوث الأقدس، ويتضح هذا الاستمرار في تعاليم الآباء الرسوليين، كما يظهر في الممارسات والطقوس التي كانت تُجرى في الكنيسة الأولى سواء كانت من خلال نصوص مكتوبة أو بطريقة شفاهية وتناقلها المسيحيون عبر العصور.

ومن أهم هذه الممارسات والطقوس والصلوات الخاصة بتقديس القرابين في القداس الإلهي والتي تُسمى باستدعاء الروح القدس وهذه الصلوات وصلت إلينا بدون انقطاع منذ عهد الرسل، كذلك صلوات المعمودية والتغطيسات الثلاثة والتماجيد (الذكصولوجيات) والبركة الرسولية المعطاة باسم الآب والابن والروح القدس.

القدّيس باسيليوس الكبير

وفي دفاعه عن ألوهية الروح القدس يستعين القديس باسيليوس الكبير بهذه الطقوس والممارسات لكي يواجه الأفكار الخاطئة لأصحاب هرطقة محاربي الروح مستندًا إلى أن هذه العقائد قد تناقلت من فم إلى فم بين المُعمّدين تحت طابع السرّ ولم تكن يومًا موضوعًا لتحديد إو إعلان من قبل الكنيسة، غير أن عامل اشتداد الصراع مع الهراطقة، أدى إلى تطور هذه النصوص الليتورجية، فأضيفت نصوص أخرى وصلوات تتضمن أمورًا إيمانية وعقائدية، ولنفس السبب أيضًا بدأت الكنيسة تلاوة الصلاة الربانية وقانون الإيمان بما يحوي من تحديدات لاهوتية صاغتها المجامع المسكونية الأول والثاني، وذلك بصورة علانية خلال ممارساتها الليتورجية بعد أن يُتلى أمام الأسقف فقط عند ممارسة طقس المعمودية، كما ظهرت الذكصولوجيات والتي هي من أرفع النصوص العقائدية في مواجهة مؤلفات الهراطقة.

فالليتورجيا إذًا، كجزء من التقليد (التسليم)، تحفظ لنا عقيدة الكنيسة عن ألوهية الروح القدس كما يتضح من خلال التركيز على الأمور الآتية:

١- إعطاء المجد والكرامة مع الآب والابن:

"المجد للآب والابن والروح القدس"

هذه الذكصولوجية قديمة جدًا في الكنيسة وتؤكد وحدة الجوهر الإلهي للثالوث الأقدس مع تمايز الأقانيم، وقد دافع القديس باسيليوس عن ألوهية الروح القدس مستشهدًا باستخدام هذه الذكصولوجية منذ القدم في الكنيسة فوصف الروح القدس بأنه ομότιμος أي مساوي في الكرامة والمجد للآب والابن. وإلى اليوم نردد في القداس الإلهي كل صلواتنا نفس هذه الذكصولوجية ونعطى المجد والسجود للروح القدس مع الآب والابن قائلين: "نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح وروحك القدّوس".

٢- وحدة الجوهر الإلهي للأقانيم الثلاثة دليل ألوهية الروح القدس:

تعبّر صلوات الليتورجيا عن هذه الحقيقة باستمرار وتذكر بكل وضوح أنّ الروح القدس هو ομοούσιος أي واحد في الجوهر مع الآب والابن.

والجدير بالذكر أن القديس باسيليوس الكبير في مواجهته لهرطقة محاربي الروح الذين أنكروا ألوهية الروح القدس قد تحاشى استخدام هذا التعبير المشهور والذي استخدمه من قبل القديس أثناسيوس الإسكندري ليُعبّر به عن وحدة الجوهر الإلهي بين الآب والابن في محاربته للآريوسيين الذين أنكروا ألوهية الإبن. والسبب في تحاشى باسيليوس لاستخدام هذا التعبير هو أن تعبير ομοούσιος هوموأوسيوس لاقى مقاومة كبيرة من الآريوسيين وأتباعهم **فبحكمة شديدة** استخدم القديس باسيليوس تعبيرات أخرى ليؤكد بها ألوهية الروح القدس هي تعبيرات:

ομότιμα المتساوون في المجد،
Συνδοξάζονται المُمجدون معًا،
συνπροσκυνούνται والمسجود لهم معًا،

وذلك لتحاشي تفاقم المشكلة مع جماعات محاربي الروح، غير أن نص الليتورجيا يتضمن تعبير ομοούσιος هوموأوسيوس، الواحد في الجوهر، وفي أكثر من موضع، وتفسير ذلك هو أن المصلين الذين يؤمنون بوحدة الجوهر الإلهي بين الآب والابن، وقد اعتادت مسامعهم على هذا التعبير لن يجدوا أية صعوبة في ترديد نفس المصطلح ليُعبّر عن ألوهيته.

لهذا نجد أن القداس الإلهي يضع أمامنا هذه الجملة لنختم بها صلواتنا وطلباتنا "هذا الذي من قبله المجد والكرامة والعزة والسجود تليق بك معه مع الروح القدس المحيي المساوي لك".

وأيضًا: "هذا الذي أنت مبارك معه مع الروح القدس المحيي المساوي لك"، وتتكرر هذه العبارة مراراً كثيرة خلال القداس الإلهي، ونجدها أيضاً في تحليل صلاة السَحَر، والغروب، والنوم، وغيرها.

٣- الروح القدس رب محيي:

تعبير آخر تؤكد به الليتورجيا على ألوهية الروح القدس هو تعبير أن الروح القدس "محيي ζωοποιός" فاللّه وحده هو الحياة وهو فقط القادر على أن يُعطي الحياة، فإنّ السيد المسيح قد قال عن نفسه: "**أنا هو الطريق والحق والحياة**"، فالروح القدس بسبب وحدة الجوهر الإلهي للأقانيم الثلاثة فهو **روح الحياة**.

وفي صلاة الساعة الثالثة نصرخ للروح القدس قائلين "أيها الملك السماوي المعزى روح الحق.. كنز الصالحات ورازق الحياة.."، ويضاف هذا التعبير أيضًا في قانون الإيمان، حيث نردد قائلين: "وبالروح القدس الرب المحيي".

٤- كمال الثالوث:

وألوهية الروح القدس ومساواته في الجوهر لأقنومي الآب والابن يجعل الثالوث كاملاً فلا الابن أقل من الآب ولا الروح أقل من الابن. الروح القدس، الأقنوم الثالث من الثالوث الأقدس، ينبثق من الآب بغير انفصال. لا يوجد أي انفصال بين أقنوم وآخر، لكن يوجد تمايز في الأقانيم، هذا التمايز مع كمال الثالوث تعبّر عنه الليتورجيا قائلة: "لأنه ينبغي لك كل تمجيد وإكرام وسجود أيّها الآب والإبن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين".

٥- عمل الروح القدس بالاشتراك مع الآب والابن:

يقول القديس أمبروسيوس في كتابه عن الروح القدس: (وإذا كان كل مخلوق قابل للتغير إلاّ أن الروح القدس صالح وغير قابل للتغير، ولا يمكن أن تخضع طبيعته للتغير الناتج عن الضعف أو الخطية، لأنه هو الذي يغفر الضعفات كلها ويمحو الخطايا، وكيف يكون خاضعًا للتغير وهو الذي بالتقديس يعمل في المخلوقات، ويغيرها بالنعمة دون أن يتغير هو نفسه).

وهذا معناه أن الروح القدس في طبيعته يختلف عن بقية المخلوقات وهو ليس من المخلوقات القابلة للتغير بطبيعتها لأن كل ما هو مخلوق هو متغيّر. الروح القدس رب، وإله بالطبيعة وغير متغيّر، وبالتالي فالصلاح فيه غير متغيّر لأنه ناتج من طبيعته غير المتغيّرة ولهذا فهو يقدس المخلوقات ولا يتقدس.

وعمل الروح القدس الإلهي لا يخص الروح القدس وحده بل يخص الآب والابن أيضًا وذلك بسبب وحدة الجوهر والقوة والمجد والعمل. فالكنيسة تضع في صلوات الساعة الثالثة هذه الصلاة الرائعة التي تثبت ألوهية الروح القدس وعمله في نفس الوقت متذكرة ساعة عمله الإلهي في التلاميذ في نفس تلك الساعة. معترفة بألوهيته كملك سمائي معزي، روح الحق الذي لا يحده مكان بل الحاضر في كل مكان، وفي عبارات دقيقة وعميقة وذات مفهوم لاهوتي، تخاطب الروح القدس بأنه "كنز الصالحات"، "معطي الحياة".

ولأنه هو كذلك فإننا ندعوه مباشرة ليمارس عمله الإلهي والذي لا يستطيع أي من المخلوقات القيام به فنقول: "**هلم تفضل واسكن فينا، وطهرنا من كل دنس أيها الصالح وخلص نفوسنا**".

وهكذا تنقل لنا الليتورجيا الإيمان كله عبر عصور الكنيسة، وتحفظ لنا وجدان الآباء وحسهم الروحي السليم، فهي خبرة لا يمكن نقلها بالكلام وإنما بالممارسة والتذوق الدائم لشركة الثالوث القدّوس.

ألسنة من نار

« ولمّا حلّ يوم الخمسين، كان الجميع معاً بنفس واحدة. وصارَ بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كلّ البيت حيثُ كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنةً منقسمة كأنّها من نار واستقرّت على كل واحد منهم. وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلّمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا» (أع ٢:١-٤).

لقد وعد الربّ تلاميذه بعد القيامة قائلاً لهم: "ها أنا أرسل إليكم موعد أبي، فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوّة من الأعالي (لو٢٤:٤٩). وكرّر لهم هذا الوعد الكريم قُبيَل صعوده، قائلاً لهم: "لكنكم ستنالون قوّة متى حلّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كلّ اليهوديّة والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع ١:٨).

وفي اليوم الخمسين بعد الفصح، أي في اليوم الأوّل من الأسبوع، حلّ الروح القدس على التلاميذ المجتمعين بنفس واحدة، **بقوّة**. وقد "صاحَبَ ذلك بعض الظواهر الخارقة للطبيعة، وهي ثلاث ظواهر: فقد صارَ بغتة صوت من السماء "**مندفعاً**" كما من هبوب ريح عاصفة. دون أن تكون هناك ريح. فالذي "**ملأ كلّ البيت**" هو الصوت وليس الريح. وكان الصوت شيئاً غير مرئي، ولكنّه كان مسموعاً للجميع. ثم رأت العيون "ألسنة منقسمة (أي متفرّقة) كأنّها من نار، واستقرّت على كلّ واحد منهم"، فكان لكل واحد منهم **نصيبه مثل الآخرين تماماً**.

"**وكأنّها من نار**" تشير إلى مظهر الألسنة، وليس إلى أنّها كانت من نار مشتعلة فعلاً، ولكنّها تُصوّر الموهبة العجيبة التي مُنحَت للتلاميذ المجتمعين في ذلك اليوم، فأضرمت فيهم القوّة والغَيرة والشجاعة للكرازة بالإنجيل بكل مجاهرة.

ويرى البعض بعض وجوه الشبه بين ما حدث عند ظهور الربّ على جبل سيناء، عند إعطاء النّاموس، وبين ما حدث عند حلول الروح القدس على التلاميذ في يوم الخمسين، ولكن وجوه الإختلاف أكثر وضوحاً، إذ نقرأ في الرسالة إلى العبرانيين أن إعطاء النّاموس صاحبته نار "وضباب وظلام وزوبعة وهتاف بوق، وصوت كلمات استعفى الذين سمعوه من أن تزاد لهم كلمة" (عب ١٢:١٨ و١٩)، كما أنّه في جبل سيناء حدثت "رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل ... فارتعد كلّ الشعب ... وكان جبل سيناء كلّه يدخّن، من أجل أن الربّ نزل عليه بالنّار. وصعد دخانه كدخان الأتون، وارتجف كلّ الجبل جداً" (خر ١٩:١٦-١٨). ولم يحدث شيء من هذا في يوم الخمسين، فقد حلّ الروح القدس على التلاميذ بنعمته الكاملة وقوّته الإلهيّة معلناً الغفران للجميع **بدم المسيح**. وفي سيناء تكلّم الربّ بلغة واحدة، أما في يوم الخمسين، فقد تكلّم الروح القدس (من خلال التلاميذ) بلغات كثيرة (أكثر من خمس عشرة لغة، حسب الشعوب المذكورة في أع ٢:٩-١١)، فقد كان النّاموس لشعب واحد، أما الإنجيل فلجميع الشعوب، لكل الجنس البشري.

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٦)

تتمة من العدد السابق

الوطن الأول ودعوة ابرآم (تك ١٢-٢٣):

في وسط بني حام قامت عشيرة من بني سام حيث هاجرت من شمال الجزيرة العربية واستقرت في المراعي الخصبة الغنية خارج مدينة أور الكلدانية وهي أور السومرية على نهر الفرات الأدنى تحت رئاسة تارح وكانوا رعاة أغنام ، وكان أولاد حام قد غرقوا في العبادة الوثنية والتي كانت شائعة، فكانت تُعبد الكواكب وتشيد لها المعابد، وفي هذا الوسط تأثرت قبيلة تارح بهم فعبدوا القمر في أور (تك ٢٦:١٦، يش ٢٤ : ٢، ١٥)، ومع فساد العبادة الوثنية والتي تقترن ممارستها بالوحشية والفجور وتلك الظلمة التي سادت العالم القديم وتفشت في الحضارتين القديمتين بمصر والفرات.

وكانت دعوة اللّه لأبرآم، فاختار اللّه رجلاً واحداً ليكون أباً لشعب عظيم (تك ٢٥ : ١٨)، وبهذه البداءة كان طريق العودة من عبادة الآلهة الكثيرة إلى عبادة الإله الواحد الحقيقي ويتبع تطور هذه العبادة خط الوعود والعهد بين اللّه ورجال الإيمان في العهد القديم، لذا أفرز اللّه ابرآم عن أهله وعشيرته، وأراد أن يقيم معه عهداً، فسمع إبرآم وهو في أور الكلدانيين صوت اللّه وصارت الدعوة له بأن يترك وطنه وأرض مولده وعشيرته ويرحل إلى أرض لا يعرفها.

ووعده اللّه بأنه سوف يصير أمة عظيمة، وإسماً عظيماً، ووعده بأرض يرثها، وأنه سيكون بركة (تك ١٢ : ١-٣). وينتقل التركيز في سفر التكوين بعيداً، فمن تاريخ الإنسان العام (تك ١-١٠) إلى شخص بمفرده فتركزت دائرة الضوء على ابرآم أحد أبناء تارح الثلاثة (تك١٢)، وإن كان الفساد قد عاد إلى العالم ثانية بعد الطوفان وانزلقت البشرية في ظلمات الوثنية وعايشتها في شرّها وزاغت عن اللّه فلم يعد كما في أيام نوح يفني اللّه الأرض بطوفان لكي يجدد البشرية، لكنه يعمل من خلال ابرآم على تجديد العالم، ومن الوجهة الأخرى لم تكن الدعوة سهلة فهناك العوائق والعراقيل التي تقف أمام ابرآم، فالإرتباط بالعشيرة من جهة، وترك المدينة التي اشتهرت بخصب أراضيها ووفرة قمحها ونخيلها وفاكهتها، بل وأيضاً مجدها ومدنيتها وحضارتها كل هذه الميزات كانت من جهة أخرى تجذب أي شخص للإستقرار فيها، فضلاً عن ذلك كانت هناك مخاوف كثيرة في المغامرة بالرحيل من صعوبة الطريق والمشاق العديدة التي تنتظره، وخاصة أنه لم يكن يعلم إلى أين هو ذاهب (عب ١١ : ٨)، لكن الكتاب يشهد على طاعة إبراهيم الذي كان يكفيه أن يكون في رفقة اللّه الذي رسم له الطريق التي يسلكها، فأطاع الدعوة وخرج (أع ٧ : ٢ ، ٣)، وبدأ هجرته في إيمان بطولي تاركاً خلف ظهره المدينة الزاهرة ذات الحضارة والثراء ليعيش متغرباً في خيام وصار إبراهيم يتقدم صفوف أبطال الإيمان ورمزاً سامياً للطاعة للّه.

هجرة ابرآم إلى كنعان:

صحب ابرآم في رحلته من أور الكلدانيين أبوه تارح وابن أخيه اليتيم لوط وزوجته العاقر سارة، وكان عمره يناهز ٧٥ عاماً، وسار الركب في أرض ما بين النهرين وغادر حوض الفرات ولا بدّ أنهم تتبعوا مجرى النهر عندما سارو شمالاً بخيامهم وقطعانهم حتى وصلوا أقاليم فدان آرام والجزء الجنوبي منها مراعٍ واسعة تشقها الأودية الكثيرة لأنها منطقة غنية بالأمطار، ووصل الركب إلى حاران التي تبعد نحو ٦٠٠ميل (٩٦٥كم) إلى الشمال الغربي من أور، ومسافة ١٨٠ ميلاً (٢٨٨كم) إلى الشمال الشرقي من دمشق، واستقروا على **البلخ** وهو أحد روافد نهر الفرات (تك١١:٢٦-٣٢)، وفي **حاران** الأرض خصبة، ويرجع إسم المدينة إلى تارح الذي سماها بإسم ابنه **هاران** تذكاراً لموته هناك، وحاران محط رجال القوافل العابرة من دمشق ونينوى، واستقر الركب فيها حتى مات تارح تاركاً إبراهيم رئيساً للقبلة (أع ٧:٤)، وفي حاران أمره اللّه أن يذهب إلى الأرض التي وعده أن يعطيه إياها (تك١١:٢٨-٣١) فارتحل مرة أخرى بعائلته لكنهم هذه المرة اتجهوا جنوباً قاصدين كنعان.

كانت الرحلة تبعد نحو ٤٠٠ ميل (٦٤٣كم) فسار الركب ببطء أياماً كثيرة يضربون خيامهم في الصحراء ساعين وراء الحشائش يرعون قطعانهم، وأحياناً أخرى يستريحون في بقعة من الأرض يزرعونها بالقمح والشعير لفصل أو فصلين من السنة ،وظلّ ابرآم كواحد من تلك القبائل العديدة التي كانت تنتشر في الأرض، وظلّ يرتحل من مكان لآخر ولم يتوقف إلا في الواحة التي تقع على مدينة دمشق وهناك إستراحت العائلة من عناء السفر، ولا تزال إلى اليوم بجوار دمشق قرية باقية تسمى مسكن إبراهيم، وقد شاهد يوسيفوس أطلالها التي كانت ما زالت باقية في أيامه، ومنها رافق ابرآم عبده الأمين اليعازر الدمشقي.

مسكن إبراهيم - قرب مدينة دمشق

وتفيدنا رسائل تل العمارنة في إلقاء الضوء على الأحوال السائدة في كنعان وشرح الظروف التي كانت فيها في ذلك الوقت وهي تتفق تماماً مع دخول الآباء إليها، فقد كانت هناك قبائل أخرى نازحة إلى كنعان وكان دخولها متزامناً مع إرتحال الآباء في الأرض وكانت كلها تشق طريقها إلى كنعان بالطرق السلمية وأحياناً بالنزاع مما سبب المتاعب الكثيرة لسكان الأرض الأصليين، وفي الأوقات التي كانت كنعان خاضعة للنفوذ المصري كتب ولاة الأقاليم في كنعان إلى حكام مصر يشتكون من غزو هذه القبائل، ولكن السيادة المصرية لم تكن قوية بالقدر الكافي لمنعها.

يتبع في العدد القادم

قيود وأغلال

في ساحة شعبيّة وعلى أنغام الطبول الأفريقيّة، وقف عملاق أسمر يستعرض عضلاته المفتولة، ليُعلن عن قوّته الخارقة.

ثُمَّ فتَح (جراباً) كبيراً، وأخرج منه ثُعباناً ضخماً طويلاً. ثمّ مدّد الثعبان على كتفيّة وتركه يلتف حول صدره، لفّات متوازيّة حتى غطّى الثعبان صدر الرجل تماماً.

وبدأ الثعبان يشد عضلاته حول جسد الرجل، وتحوّلت الساحة إلى حلبة مصارعة بين عضلات العملاق، وعضلات الوحش، وكلاهما جبّار مقتدر.

ومرّت لحظات، ثمّ دوي في الساحة تصفيق حاد حين رفع الرجل ذراعيه القويتين بعلامة الإنتصار.

ولكن بعد لحظات قليلة سَمِعَ النّاس ، صوتاً خشناً مكتوماً كصوت حجر يتحطّم، ثم دوت صَرخة عالية، وهوى جسد العملاق ساقطاً على الأرض .

لقد نجح الثعبان في تحطيم صدر العملاق.

كان الرجل قد قدّم هذه اللعبة آلاف المرّات، على مدى شهور طويلة، غير أنّ الرجل نسيَ أنّ ثعبانه اليوم قد كبر عن الأمس وقويت عضلاته.

إنّ هذه القصّة تعكس لنا صورة حيّة من حياتنا فنحنُ كثيراً ما نقف في ساحة الحياة، وحول صدورنا ثعابين كثيرة ملتفّة عليها. منها الضغائن والأحقاد والأطماع .. إلى غير ذلك. والسلاسل التي تُقَيّدنا كثيرة منها العادات والشهوات فلكلٍ منّا ثُعبانه الخاص، الذي سمَحَ له بالإلتفاف حول صدره.

ولكن هذا الثعبان الذي نرعاه قد يكبر ويغدر بنا، وقد يستعصي علينا ترويضه، فتصبح لذّة الأمس **قيوداً وأغلالاً وسلاسلاً**. تُضَيّق وتستحكم ويأتي الوقت الذي تُطَبّق فيه على صدورنا وتخنقنا.

إنّ الحياة في سجون الخطيّة عبء ثقيل .. والجلوس في كهوف الشهوة المظلمة يعمي البصائر .. والوقوف وراء قضبان الشرّ يسحق كرامة الإنسان الحرّ. لذلك يجب أن تسقط القيود ، ويجب أن يسترد الإنسان حُرّيته التي خُلِقَ عليها.

فكم في الحياة من المخدوعينَ الذين يحسبون أنفسهم أحراراً وهم عبيد منكفئون في مسالك الشرّ، مُستعبدون لسلطان الخطيّة غارقون في بحور الشهوة والإثم.

والإنسان مهما حسُنَت نواياه لا يستطيع أن يُطلق نفسه في آفاق الحريّة .. والإنسان الذي صنع عبوديّته لا يستطيع أن يصنع تحريره. فالحريّة هي من **جوهر اللّه**.

لذلك يحتاج الإنسان إلى **قوّة إلهيّة تحرّره** وترفعه وتمنحه روحاً جديداً وأجنحة عالية. قوّة ترفعه "إلى حرّية مجد أولاد اللّه" (رو ٨:٢١). هذه القوّة هي قوّة الربّ القادر أن يحرّرك من كل قيودك وأغلالك.

"فإن حرّركم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو٨:٣٦). إن كانت قيودك ثقيلة وأغلالك قاسية فلا تيأس، فالربّ يكسّر كل القيود والأغلال ويحطّم كل السلاسل والمتاريس ويُطلِق الأسرى في سماء الحريّة.

فالرب يسوع قد جاء إلينا لكي يُنادي "للمسبيين بالعتق وللمأسورين بالإطلاق" (إش١٦:١). لقد حرّر المسبيين وفتح لنا باب الفردوس على مِصراعيه لندخل فيه وننعم بالعشرة معه إلى الأبد.

"روح الربّ عليَّ لأنّه مسحني ... لأنادي للمأسورين بالإطلاق ... وأُرسل المنسحقين في الحريّة» (لو ٤:١٨).

يقولَ الوحي الإلهيّ عن الربّ يسوع:

"أما يسوع فانحنى إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض" (يو٨:٦). لقد كان يسوع يقف بين مجموعة من البشر لا همَّ لهم سوى إدانة إمرأة أمسكوها في الزنى وأقاموها في الوسط. وما كان على الربّ يسوع إلاّ أنّه لم يجيب عليهم بشيء بل إنحنى إلى أسفل وكتب بإصبعه على الأرض.

فلماذا كتبَ على الأرض؟

ذلك ليُحَوّل نظرهم من النظر إلى المرأة إلى النظر إلى الأرض التي منها **مصدرنا** وإليها **مرجعنا** .. ليُحَوّل نظرهم إلى التراب الذي منه **جُبلنا** وإليه **نعود**. أراد أن يُذكّرهم بالقيود التي تربطهم والأغلال التي تكبّلهم حتى يَرْثُوا إلى شرّ حالهم ولا يلتفتوا لغيرهم. ومع ذلك لم يتعظوا بل استمرّوا يسألونه فانتصب يسوع وقال لهم: "من كان منكم بلا خطيّة فليرمها بحجر" (يو ٨:٧). ثمّ "انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض" (يو ٨:٨).

وبالطبع كان يكتب الربّ كلاماً مفهوماً. ويقول بعض المفسرين أنّه كان يكتب لكل منهم خطيّته التي تكبّله وآثامه التي تُقَيّده.. فهو كاشف الخفايا وعارف الخطايا.

أمّا هم فخجلوا من أنفسهم وخرجوا الواحد وراء الآخر.

جاء الربّ ليفكّ قيود البشريّة ويحلّها من خطاياها. ويفتح لها طريق المجد الأبدي.

فبينما كانوا يختمون قبر المسيح. كان هو قد أطلق المسبيين في الجحيم وفَكَّ أختام الفردوس المُغلَق وأدخَلَ فيه الراقدين على الرجاء.

هو جاء ليكون لنا حياة وليكون لنا أفضل هنا على الأرض وهناك في السماء.

قال القدّيس أمبروسيوس عن الربّ يسوع:

إن خشيت الموت فهو الحياة
وإن اشتهيت السماء فهو الطريق

للأولاد الأذكياء فقط

إجابات أسئلة العدد السابق

١ -تخافوا . (أنا هو لا تخافوا).
٢ - نور . (أنا هو نور العالم).
٣ - إرحمني . (يا يسوع بن داود إرحمني).
٤ - سريرك . (قم إحمل سرسرك وامشي).
٥ - يعوزني . (الربّ يرعاني فلا يعوزني شيء).
٦ - الحبيب . (هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا).
٧ - إذكرني . (أذكرني يا ربّ متى جئت في ملكوتك).
٨ - طوبى . (طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله).
٩ - تبتهج . (تعظم نفسي الربّ وتبتهج روحي بالله مخلصي).
١٠ - باركي . (باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته).
١١ - جسدي . (من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه).
١٢ - السلام . (المجدُ لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة).

أسئلة هذا العدد:

متى جاء ذكر هذه المِهَن ؟

١ - الصيّاد
٢ - الخادم
٣ - الخبّاز
٤ - الحرّاس
٥ - الطبيب
٦ - التاجر
٧ - السّاقي
٨ - راعي الغنم
٩ - الفلاح
١٠ - باعة الحمام
١١ - العسكري
١٢ - رئيس نوتيّة

الإجابات في النشرة القادمة

الروح القدس حلّ على التلاميذ الأطهار بالتساوي

لقد تأيّدت وحدة الإيمان في الكنيسة بكرازة الرسل وتقرير الآباء للعقائد وملأكانت الكنيسة قد لبست ثوب الحقّ المنسوج من الكلام اللاهوتي الموحى به من العلاء. فهي تفصّل كلمة الحقّ باستقامة. وتعتقد اعتقاداً صحيحاً بسرّ حسن العبادة العظيم.

خردل

وردَ اسم هذا النبات وحبوبه في أمثال الرب يسوع المسيح (مت ١٣:٣١ ، ١٧:٢٠) ، (مرقس ٤:٣١) ، (لو ١٣:١٩ ، ١٧:٦). وهو انواع منها: الخردل الأسود واسمه باللاتينيّة "سينابيس نيجرا" (*sinapis nigra*) والخردل الأبيض "سينابيس ألبا» (*sinapis alba*) والخردل البرّي "سينابيس أرفنسيس" (*sinapis arvensis*) وهو أحد التوابل واسعة الإنتشار إلى هذا اليوم. وكان يُزرَع في فلسطين النوعان الأسود والأبيض. وكانت البذور تُطحَن لإستخدامها في الأدوية أو في الطعام لتعطيه نكهة ومذاقاً حريفاً ، بينما كانت الأوراق تُطبخ كخضراوات. وبذوره الصغيرة في حجم بذور البتونيا الأمريكيّة (*Petunia*) أو أصغر، ولكنها متى زُرِعَت في الأرض تصير شجرة تعلو إلى عشرة أقدام أو أكثر. وقد استخدمها الربّ لتصوير نمو ملكوت اللّه، وكذلك لتصوير ما يستطيع أن يفعله اللّه القدير إستجابة لإيمان ضئيل كحبّة الخردل.

1 الخردل الأسود 2 أنواع من الخردل
3 الخردل الأبيض 4

ويرى البعض أن حبّة الخردل ليست أصغر جميع البذور المعروفة . ولكن الكلمة اليونانيّة هي ميكروتيرون، وهي في صيغة المفاضلة وقد تعني «مثالاً أصغر بين جميع الحبوب» وبخاصة في مجموعة النباتات العشبيّة أو الخضراوات التي تنمو في الحدائق.

لظى

تقول عروس النشيد :

«المحبّة قويّة كالموت، الغيرة قاسية كالهاوية. لهيبها لهيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبّة والسيول لا تغمرها» (نش ٨:٦و٧).

ولظيت النّار لظى. تلهبّت، فاللظى هو لهيب النّار الخالص لا دخّان فيه. وقد بدت هذه المحبّة في أروع وأكمل صورها في محبّة الرب يسوع المسيح لكنيسته حتى أنّه:

«أسلَمَ نفسه لأجلها» (أف ٥:٢٥).

تذكار القديسَيْن الملكَيْن العظيمَيْن
قسطنطين وهيلانةَ المعادلي الرُسل

الطروبارية

لما عايَنَ قسطنطين رسولك في الملوك رسم صليبك في السماء يا ربُّ.
وحصَلَ على الدعوة مثل بولس منكَ لا من البشر.
اودع المدينة المتملكة في يدك العزيزة.
فبشفاعات والدة الإله إحفظها دائماً في سلامٍ يا مُحبَّ البشر وحدهُ.

القنداق

اليوم أظهَرَ لنا قسطنطين وأُمُّه هيلانة خشبة الصليب الموقّرة.
وهي خزيٌ لجميع اليهود، وسلاحٌ للمؤمنين بإزاء الأعداء
فإنَّها قد ظهرت آيةً عظيمةً لخيرنا ورهيبةً في الحروب.